



البيئة العلمية المصرية وتأثيرها على سوداني وادي النيل

في العصر الفاطمي الأول ٣٦٣ - ٤٨٧ هـ / ٩٧٣ - ١٠٩٤ م

د. محمد عبد العظيم الخولي

مدير الإدارة العامة للهيئات المستقلة

والأجهزة الرقابية بمجلس النواب

شهدت مصر في العصر الفاطمي الأول ٣٦٣ - ٤٨٧ هـ / ٩٧٣ - ١٠٩٤ م^(١)، خليطاً من الأجناس البشرية اعتمد عليهم الفاطميون في قيام دولتهم، وشجعوهم على الاستقرار في مصر، ومن أهم هذه الأجناس السودانيون، فقد ضم جيش المعز لدين الله الفاطمي الكثير منهم، وزاد نفوذهم في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله؛ لزواجه من سيدة سودانية^(٢). والخليفة المستنصر بالله على يد أمه السودانية التي استكثرت من جلب أعدادهم التي استقرت في صعيد مصر والنوبة^(٣).

أما سوداني وادي النيل فهم هؤلاء السكان الذين قطنوا النوبة، التي كانت تعرف في العصور الوسطى بـ "سودان وادي النيل"، وكانت تشتمل وقتذاك على أجزاء وادي النيل الممتدة من مدينة أسوان في الشمال إلى جنوبي التقاء النيلين الأبيض والأزرق، بالإضافة إلى مناطق من حوض النيل الأزرق والأتبرا، حتى أطراف الحبشة شرقاً وإقليم كردفان ودارفور غرباً. هذا هو سودان وادي النيل، أي النوبة في العصر الفاطمي الأول^(٤).

(١) ينسب الفاطميون بناه القاهرة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب. (المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، ت ٨٤٥ هـ/٤٤٢ م): تعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة ١٩٩٦ م، ج ١، ص ٦)؛ - وقد ذهب أحد دعاة الشيعة في عام ٢٨٠ هـ/٨٩٣ م واسمه أبو عبد الله الشيعي إلى بلاد البربر بشمال إفريقيا، داعياً لعبيد الله بن محمد من نسل جعفر الصادق، فنجح في دعوته، وطرد الأمير الأغليي الحكم لتلك البلاد التابع للدولة العباسية وذلك في عام ٢٩٦ هـ/٩٠٨ م، وأعلن أن الخليفة الحقيقي للمسلمين ورئيس دينهم المنتظر هو إمامه "عبيد الله" الملقب بالمهدي، ومن نسل فاطمة بنت رسول الله، ولذلك سميت سلالته بالفاطميين. (أمينة الصلوي: الأزهر الشريف منارة الإسلام، تقديم عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، مكتبة مصر، القاهرة ١٩٨٥ م، ص ٩).

(٢) زوجة الظاهر هي السيدة "رصد" كانت جارية سودانية لديه وولدت له ابنه المستنصر واستكثرت من بني جنسها السودانيين مما أدى إلي قتل عديده. (المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، ت ٨٤٥ هـ/٤٤٢ م): المواعظ والاعتبار في نكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ١٩٩٥ م، ج ١، ص ٣٣٥؛ - سعيد عبد الفتاح عاشور وعبد الرحمن الرفاعي: مصر في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٠ م، ص ٢٥١؛ - نجوى كيرة: حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٤ م، ص ٩٣).

(٣) عطية القوصي: تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠١٢ م، ص ١٨٢.

(٤) مصطفى محمد مسعد: المكتبة السودانية العربية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى، مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، الخرطوم ١٩٧٢ م، ص هـ.



مصر في العصر الفاطمي الأول:

طمع عبيد الله المهدي (٢٩٨ - ٣٢٣ هـ / ٩١٠ - ٩٣٤ م) ^(١) في أن يتخذ مصر قاعدة يوجه منها حملاته إلى بغداد للقضاء على الخلافة العباسية ^(٢)، لذلك وجه نشاطه على أثر تأسيس خلافته بالمغرب إلى وضع الخطط لغزو مصر، فأعد سنة ٣٠١ - ٣٠٢ هـ / ٩١٣ - ٩١٤ م، جيشاً من المغاربة تحت إمرة ابنه وولي عهده أبي القاسم وقائده حُباسة بن يوسف ^(٣).

وكشفت هذه الحملة - رغم فشلها - عن ميل كثير من المصريين إلى الدعوة الفاطمية بفضل دعاة الإسماعيلية الذين بذلوا مجهوداً كبيراً في دعوة أهالي مصر للدخول في المذهب الإسماعيلي، وهو بنفس الدور الذي قام به أبو عبد الله الشيعي في بلاد المغرب ^(٤).

(١) عبيد الله الملقب بالمهدي هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله ابن ميمون القلاح بن ديصان الثوي الأوزاعي وأصلهم من المجوس؛ ولم يتم لسعيد الأمر بالمغرب إلا أن قال: "أنا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم" فتم له بذلك الحيلة والخديعة وشاع بين الناس أنه علوي فاطمي من ولد إسماعيل بن جعفر فاستعبدهم بهذا القول. (المقريزي: اتعاظ الحنفاء، ج ١، ص ١٤، ١٣).

(٢) رأى الفاطميون بعد أن استقر نفوذهم في بلاد المغرب أن هذه البلاد لا تصلح لتكون مركزاً لولائهم، فضلاً عن ضعف مواردها، كان يسودها الاضطراب من حين لآخر، لذلك اتجهت أنظارهم إلى مصر؛ لوفرة ثروتها وقربها من بلاد المشرق، الأمر الذي يجعلها صالحة لإقامة دولة مستقلة تنافس العباسيين، فجهز عبيد الله المهدي ثلاثة جيوش لغزو مصر، اثنين منها بقيادة ابنه "أبي القاسم" فحال دون فتحها عدة أمور، منها المجاعة التي حدثت في المغرب عام ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م، والوباء الذي فشا في أحد الجيوش، وفككت عدواه بأهل المغرب. (عبد الله محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع رعاية خاصة بالجيش، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٥ م، ص ٩٤).

(٣) هو أبو داود حُباسة بن يوسف الكتامي البربري. (الذهبي (الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م): التاريخ الكبير أو تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، تحقيق محمد عبد الهادي شعيره، دار الكتب، القاهرة ١٩٧٣ م، ج ٢٣، ص ١٢)؛ - استولى هذا الجيش على برقة في طريقه إلى مصر، ثم واصل السير حتى استولى على الإسكندرية وتوغل في الوجه البحري؛ وأنفذ الخليفة المقنن العباسي مؤنسا الخادم لدفع المغيرين، واشتبك الفريقان في معركة ببلدة مشنول على مقربة من الجيزة، وانهزم حُباسة وعاد إلى بلاد المغرب حيث قتله الخليفة عبيد الله المهدي على أثر رجوعه. (القرطبي (عريب بن سعد القرطبي، ت ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م): صلة تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٠ م، ص ٥٣).

(٤) أبو عبد الله الشيعي: مؤسس الدولة الفاطمية، اتصف بالنكاه والفتنة والتدين والتقوى والورع واللباقة والكياسة، اعتنق تعاليم الشيعة، وتشيع بحب آل البيت النبوي، وأعلن ولائه للأئمة العلويين الإسماعيليين. (على حسن الخربوطلي: أبو عبد الله الشيعي، مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة ١٩٧٢ م، ص ٢)، وهو الحسن بن أحمد بن محمد بن زكريا. (ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨ هـ / ٤٠٥ م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٩٩ م، ج ٣، ص ٣٦٢؛ - المقريزي: الخطط، ج ١، ص ١٠؛ - المقريزي: اتعاظ الحنفاء، ج ١، ص ٥١؛ - القاضي النعمان (النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد التميمي، ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م): رسالة افتتاح =



وفي أواخر سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م رأى عبيد الله المهدي أن يعاود الكرة لغزو مصر؛ فأخذ في إعداد جيش لفتحها، وأوفد ابنه أبا القاسم على رأس هذا الجيش، فاستولى على الإسكندرية سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م دون عناء، ثم سار إلى الجيزة، وأخذ الفاطميون يتوغلون في بلاد الوجه القبلي حتى تمكنوا من الاستيلاء على الأشمونين والفيوم (١). على أن الخليفة المقتدر العباسي ما أن أرسل قائده مؤنسًا الخادم على رأس جيش إلى مصر، فانتصر على الفاطميين واستولى على سفنهم وأحرقها، وبذلك حلت الهزيمة بالحملة الفاطمية (٢).

وتابع القائم بأمر الله أبو القاسم (٣) سياسة أبيه في غزو مصر، فأرسل إليها جيوشه في أواخر سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م، فوصلت الإسكندرية في أوائل سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م، وانضم إليها بعض المصريين الذين تأثروا بالدعوة الفاطمية، فأنفذ إليهم الإخشيد قوة كبيرة استطاعت أن تهزم جند الفاطميين الذين ما لبثوا أن أرغموا على العودة مره أخرى (٤).

=الدعوة، رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية، تحقيق وداد القاضي، بيروت ١٩٧٠ م، ص ٥٩؛ - كما يسمونه الحسين بن احمد بن محمد بن زكريا. (ابن الأثير) على بن أحمد أبي الكرم، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م): الكمل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٦ م، ج ٨، ص ٣١؛ - ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد أبي بكر الشافعي، ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م): وفيت الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق احسان عيسى، دار صادر، بيروت ١٩٧٠ م، ج ١، ص ٤٤٣؛ - ويقال: انه من الكوفة. (القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص ٥٩)؛ - ويقال انه من رام هرمز. (المقريزي: تعاط الحنفا، ج ١، ص ٥١)؛ - ويقال أنه من مدينة صنعاء باليمن. (ابن الأثير: الكمل في التاريخ، ج ٨، ص ٣١؛ - ابن خلكان: وفيت الأعيان، ج ١ ص ٤٤٣). وقد اشتهر عبد الله باسم المعلم؛ لأنه كان يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية (المقريزي: تعاط الحنفا، ج ١، ص ٥١)؛ - وأيضا (بالصوفي) فقد كان يرتدى الخشن والمرقع من الثياب الصوفية. (القرطبي: صلة تاريخ الطبري، ص ٢٧).

- (١) المقريزي: تعاط الحنفا، ج ١، ص ٣٧.
- (٢) كان من أهم عوامل إخفاق هذه الحملة أن الخطة التي وضعها المهدي لغزو مصر لم تتفد ببقته، ذلك أن أبا طاهر الجنبلي أمير القرامطة ببلاد البحرين لم يتقدم بجيشه إلى مصر ليعاون جيش الفاطميين. (المقريزي: تعاط الحنفا، ص ١٠٣ - ١٠٤).
- (٣) أبو القاسم محمد نزار بن الخليفة المهدي، وقيل عبد الرحمن بن المهدي، ويلقب بالقائم، ولد في السالمية ببلاد الشام سنة ٢٧٧ هـ م، ٨٩٠ م، أو سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م، أو سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م، وقد صاحب والده عند رحيله من بلاد الشام إلى إفريقية، حيث بويغ بخلافة المسلمين، وأقام الخلافة الفاطمية، وقد بايع الخليفة المهدي ابنه أبا القاسم بولاية العهد في حياته، ولما توفي أبوه جددت له البيعة وأصبح الخليفة الفاطمي الثاني، وقد ظهرت مواهبه الحربية وتولى قيادة الجيوش في حياة أبيه وكان على رأس الحملة الفاطمية الأولى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م، والثانية سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م، لفتح مصر وقتلت كلتا الحملتين. (المقريزي: تعاط الحنفا، ج ١، ص ٣٩؛ - النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد فوزي العنيل ومحمد طه الحاجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢ م، ج ٢٦، ص ٣٦؛ - ابن عذاري المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عذاري المراكشي، ت ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م): البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، ترجمة وتحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣ م، ج ١، ص ١٩٧ - ١٩٩).
- (٤) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧.



وبعد وفاة القائم بأمر الله، لم يبق ابنه المنصور إسماعيل سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م (١) بأية محاولة لغزو مصر، ويرجع سبب ذلك إلى انشغال المنصور إسماعيل بالعمل على ضبط الأمور في دولته، لكن الفاطميين رغم ذلك كانوا يرقبون الأمور في البلاد المصرية، ويأملون أن يتمكنوا من مد سلطانهم عليها (٢).

وحاول ابنه المعز (٣) إعادة الكرة للاستيلاء على مصر في عهد كافر الإخشيد، فهزمهم كافر (٤). وبوفاة كافر سنة ٣٥٧هـ/٩٦٨م، اضطربت الحالة السياسية في مصر، فكتب الكثير

(١) هو أبو الطاهر إسماعيل بن محمد القائم بن عبيد الله المهدي، ولد بالمهديّة في أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمائة وقيل ولد بالقيروان في سنة اثنتين وثلاثمائة وقيل بل في سنة إحدى وثلاثمائة، ويبيع له في شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي يوم الأحد الثالث وعشرين من شوال وقيل يوم الجمعة مع الظهر سلخ شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وسترت وفاته إلى يوم الأحد سابع ذي الحجة منها وكان له من العمر إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر، وكان فصيحاً بليغاً خطيباً حاد الذهن حاضر الجواب بعيد الغور جيد الحس يخرع الخطبة. (المقريزي: تعاض الحفا، ج ١، ص ٤٧).

(٢) حرص كافر الإخشيد الذي كان وقتذاك يستأثر بالسلطة في مصر في ذلك الوقت على تحسين علاقته بكل من الخليفة العباسي والخليفة الفاطمي، فكان كما قال ابن تغري بردي: "يهدى المعز صاحب المغرب ويظهر ميله إليه، وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس، ويدارى ويخدع هؤلاء وهؤلاء". (ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن، ت ٨٧٤هـ/٤٧٠م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٨م، ج ٤، ص ٦).

(٣) هو أبو تميم معد بن المنصور أبي الطاهر بن القائم أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي، قال: ولى الأمر بعد أبيه سلخ شوال وقيل يوم الجمعة سابع عشر سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة. (المقريزي: تعاض الحفا، ج ١، ص ٥١).

(٤) كافر كان عبداً خصياً مملوكاً لأحد أهالي مصر، فاشتره منه "محمد بن طنج" مؤسس الدولة الإخشيدية، ويقول السيوطي أن الإخشيد اشترى كافرًا بثمانية عشر دينارًا، ويقول المقريزي إنه أرسل بهدية لمحمد بن طنج، ولما آلت ولاية مصر إلى الإخشيد ترقى كافر في بلاطه، وقد توفي كافر سنة ٣٥٧هـ/٩٦٨م، وهو في السنين من عمره، وبعد أن حكم مصر والشام والحجاز ٢١ سنة، ودفن في دمشق. (السيوطي) (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، ت ٩١١هـ/١٦٠٥م) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، طحلي، القاهرة ١٩٦٧م، ج ٢، ص ٣٧٣ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر، ج ٢، ص ٣١٥ - المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٢٦ - ويقول ابن سعيد أن كافر الأسود الخصي من أعاجيب الدنيا، وسيرته من أغرب السير، وذلك أنه أول ما سبق من بلاد السودان، وهو صغير، وكان مولاه محمد الإخشيد (محمد بن طنج الإخشيد). (ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلّي المغرب، ص ١٤٨) - ومن الملاحظ أنه لما ملت كافر كانت حالة مصر في منتهى السوء، وقد زلت فيها الفتن والاضطرابات وكانت حروب كثيرة بين الجند والأمراء قتل فيها خلق كثير، واشتد خوف الناس وضاعت أموالهم، وارتفع السعر بصورة رهيبية، وتهيبت أسواق البلد، واستمر سوء الحال إلى سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م، حيث اشتد الوباء ونقش المرض وكثر الموت لدرجة عجز الناس معها عن تكفين موتاهم ودفنهم. (المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، ت ٨٤٥هـ/٤٤٢م): إغاة الأمة بكشف الغمة، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الشيل، القاهرة ١٩٤٠م، ص ١١ - ١٤).



من أصحاب الرأي في مصر إلى المعز لدين الله الفاطمي يطلبون منه القدوم إلى مصر لإنقاذها من الفوضى التي انتشرت فيها منذ أن توفي كافور (١). فعهد المعز لدين الله إلى جوهر الصقلي (٢) بقيادة الحملة التي أعدها لفتح مصر وخرج لوداعه في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، وسار جوهر على رأس جيشه حتى وصل برفقه ودخل الإسكندرية من غير مقاومة، ولما وردت إلى القسطنطينية أخبار وصول جوهر إلى الإسكندرية فاستقر نوى الرأي على مفاوضة جوهر في شروط التسليم وطلب الأمان على أرواح المصريين وأملاكهم، واتفقوا على تأليف وفد للمفاوضة،

(١) مجهول : أخبار المعز لدين الله الفاطمي، مخطوطة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ١٢١١١ ح، وهو نفسه المعروف باسم "شرح لمحة من أخبار المعز لدين الله" المحفوظ بجامعة القاهرة برقم ٢٤٠٢٢ ؛ - سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين، ص ٢٦٥.

(٢) ولد جوهر الصقلي نحو عام ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م. (المقريزي : الخطط ج ١، ص ٣٧٧ ؛ - Stanley Lane - Poole : The story of Cairo, London 1888, P. 117. - ومع أنه رومي الأصل إلا أنه نشأ في صقلية نشأة إسلامية خالصة، فقد دخل الإسلام جزيرة صقلية، ويرجع المؤرخون إن أباه كان مسلماً، ولكن لا نعلم شيئاً عما إذا كان جوهر قد ولد مسلماً، أو أنه اسلم بعد ولادته، والذي يغلب عليه أنه ولد مسلماً وان والدته كان يدعى "عبد الله". (ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) : معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، بيروت ١٩٩٠ م، ج ٥، ص ٣٧٣ - ٣٧٦ ؛ - علي إبراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٣ م، ص ٧٧) ؛ - واتصل جوهر ببلاد المعز، ويبدو أنه كان في حاشيته العسكرية، وقد اهتم به الخليفة الفاطمي، لما توسمه فيه من الإخلاص للدين ولمواهبه الفذة وثقافته الواسعة، وظل يتدرج في سلك المناصب في دولة المعز، حتى اتخذها كاتباً عام ٣٤١ هـ / ٩٥٣ م، وهي السنة التي ولي المعز فيها الخلافة، ثم رقاها إلى منصب الوزارة سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م، وولاه قيادة جيش كثيف لتوسيع ملك المعز في شمال إفريقيا، وقد انتصر جوهر الصقلي، وتوغل في فتوحه حتى وصل إلى شاطئ المحيط الأطلسي. (ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج ٢، ص ١٠٢) ؛ - وصقلية : بثلاث كسرات وتشديد اللام، والياء أيضاً مشددة، والبعض يقول بالسين، وأكثر أهل صقلية يفتنون الصاد واللام، وهي من جزائر البحر الأبيض المتوسط، بينهما وبين إفريقيا مائة وأربعون ميلاً، وهي جزيرة خصبة كثيرة البلدان والقرى، وبها ثلاث وعشرين مدينة وثلاثة عشر حصناً، وبها جبل النار الذي يزعم الرومان أن كثيراً من الحكماء الأولين كانوا يدخلون إلى الجزيرة لمشاهدة عجائبه واجتماع النار والتلج فيه، وقيل انه كان في هذا الجبل معدن الذهب وقد سماه الروم "جبل الذهب"، وحاضرة هذه الجزيرة مدينة "بلو" ومن أكبر مننها الخالصة، وقد ظلت صقلية موطن جوهر تحت الحكم الروماني حتى فتحها الأغلبية سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م، على يد أسد بن الفرات، قاضى القيروان، وذلك في عهد الخليفة العباسي "المأمون" ويقول ياقوت الحموي: إن أسد فتح هذه الجزيرة على رأس تسعمائة فارس وعشرة آلاف راجل. (ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٧٤) ؛ - وقد أسس دولة الاغلبية التي فتحت صقلية إبراهيم بن الأغلب الذي أقطع الخليفة هارون الرشيد شمال إفريقيا في سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م، فوليها هو وأولاده من بعده إلى سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م. (Lane - Poole, S.: The muhammadian Dynasties, Paris 1905, P. 36.)



وكان على رأسه الشريف أبو جعفر مسلم الحسيني ، فالتقى الوفد بالقائد الفاطمي وانتهت المفاوضات بكتاب الأمان (١).

وبعد أن استقر سلطان الفاطميين في مصر رأى جوهر أن يكتب إلى المعز يستدعيه ليتولى بنفسه زمام الحكم في البلاد (٢)، وذلك بعد أن هيا المصريين نفسياً لتقبل الخلافة الجديدة، فدخل المعز مصر سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م (٣)، واستقبل استقبالاً حافلاً (٤). وأصبحت مصر بعد قنوم الخليفة

(١) بين جوهر في هذا الكتاب الذي التمس به وفد أهالي الفسطاط أن جيوش الفاطميين إنما قدمت لحمايتهم، كما عرض لبرنامج الإصلاح الذي سيقوم به كإقامة شعائر الحج وإصلاح الطرقات، والعمل على استتباب الأمن وتوفير الأقوات وإصلاح العملة، ونشر العدل، كما وعد بترميم المساجد وتأثيثها، وأن تدفع للمؤننين فيها الأئمة رواتبهم من بيت المال، كذلك نص في كتاب الأمان على أن يظل المصريون على مذهبهم، أى لا يلزمون بالتحول إلى المذهب الشيعي، وأن يرى الأذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره والزكاة والحج والجهاد، على ما ردى في كتاب الله وسنة رسوله، وتعهد جوهر في كتاب الأمان بتأمين المصريين على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم وضياعهم. (المقريزي : تعاض الحنفا، ص ١٤٨، ١٥٣).

(٢) عندما أيقن المعز لحين الله الفاطمي أن دعائم ملكه قد توطدت في مصر عول على الرحيل إليها، فاستخلف يوسف بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى على إفريقية والمغرب، وخرج من المنصورية في شوال سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، متوجهاً إلى مصر وبصحبه كثير من أتباعه وجمع كبير من رجالات دولته، من بينهم أولاده وإخوته وأعلمه، كما أحضر معه رفات أبيه (عبد الله المهدي والقائم والمنصور)، فضلاً عن ذلك فإنه كان في ركبه خمسمائة حمل من الأموال التي أخرجها من قصور أبيه. (ابن الأثير: الكمل في التاريخ، ج ٨، ص ٢٠٥ - المقريزي: تعاض الحنفا، ص ١٨٦).

(٣) أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم عزب ويحيى سيد حسين، تقديم حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٨م، ج ٢، ص ١١٢ - الذهبي (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت ٧٤٨هـ / ٩٠٧م): العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م، ج ٢، ص ١١٣.

(٤) دخل الإسكندرية في شعبان سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م، فاستقبله أعيان البلاد وعلى رأسهم قاضى مصر، وجلس الخليفة عند منارة الإسكندرية حيث ألقى خطبة، قال فيها: "إنه لم يدخل مصر طمعا في زيادة ملكه ولا لامل، وإنما أراد إقامة الحق وحمالية الحجاج والجهاد ضد الكفار، وأن يختم حياته بالأعمال الصالحة، وأن يعمل بما أمر به جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصل مصر في يوم الثلاثاء ٧ رمضان سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، وسار متجهاً إلى القصر الشرقى الذى بناه له جوهر ولم يكد يصعد إلى إحدى ردهاته حتى سجد شكراً لله تعالى وصلى ركعتين، وفي اليوم التالى لوصوله خرج أشرف مصر وقضايتها وأعيانها ورجال العلم فيها لتهنئته والاحتفاء به، ثم أخذ جوهر بعد ذلك يقدم إليه الناس طائفة بعد أخرى. وقد اشتملت هدية القائد جوهر التي قدمها إلى مولاه المعز على: مائة وخمسين فرساً مسرجة، ملجمة، بعضها مذهب، وبعضها مرصع، والبعض الآخر مغبر، وإحدى وثلاثين قبة على نوق بالديباج والمناطق والفرش، وثلاث وثلاثين بغلة، وكان منها سبعة مسرجة ملجمة، تتبعا مائة وثلاثون بغلة معدة للنقل، وكانت الهدية تشمل أيضاً على أربعة صناديق مشبكة يرى ما بداخلها من أواني الذهب والفضة، ومائة سيف محلاة بالذهب والفضة وشائنية مرصعة في غلاف وتسعمائة أنية فيها طرائف مختلفة، انتخبها جوهر من خاثر مصر. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٣٤ - المقريزي: تعاض الحنفا، ص ١٨٨، ١٧٦).



الفاطمي المعز لدين الله إليها دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة تابعة للخلفاء الفاطميين في بلاد المغرب، كما حلت القاهرة محل المنصورية، وغدت عاصمة للدولة الفاطمية (١). ويفضل الأموال الوفيرة التي أحضرها المعز لدين الله الفاطمي من المغرب استطاع أن يقيم دولة في مصر تناهض الدولة العباسية، وعمل على المحافظة على نفوذ الفاطميين في أفريقيا والمغرب وجزيرة صقلية (٢).

ولما توفي المعز لدين الله سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م)، خلفه ابنه العزيز بالله (٣) الذي اتسم عهده بالتسامح الديني مع أهل النمة (٤)، وفتح حمص وحماة وحلب، وخطب له صاحب الموصل وخطب له باليمن، واتسعت رقعة الدولة الفاطمية في عهده، فصارت تمتد من بلاد العرب شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن آسيا الصغرى شمالاً إلى بلاد النوبة جنوباً (٥).

واهتم الخليفة العزيز بالله بنشر عقائد المذهب الشيعي، وتحول الجامع الأزهر في عهده إلى جامعة تدريس عقائد هذا المذهب وأصوله، إضافة لتدريس العلوم العقلية، وأصبحت كل الأمور في عهد العزيز في يد رجال الشيعة المغاربة من رجال كتامة أنصار الفاطميين.

- (١) المقرئزي: اتعاظ الحنفاء، ص ١٦٨؛ - عارف تامر: المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى، دار الأفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢م، ص ١٦٠.
- (٢) محمد جمال الدين سرور: مصر في عصر الفاطميين، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، تاريخ مصر الإسلامية، تاريخ المصريين رقم ٦٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م، ص ٢٦٤.
- (٣) هو نزار أبو منصور العزيز بالله بن المعز لدين الله أبي تميم، ثاني خلفاء الفاطميين بمصر، والخامس منهم بالمغرب ولد بالمهدية ببلاد المغرب يوم عاشوراء سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥ م، وخرج مع أبيه المعز من المغرب إلى القاهرة، ودام بها، إلى أن مات أبوه المعز بعد أن عهد إليه بالخلافة، فولى بعده في ١٤ من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٥هـ وله اثنان وعشرون سنة، وكان المعز قد عين ابنه العزيز لولاية عهده من بعده، رغم أنه ليس صاحب الحق في ذلك تبعاً للنظام الإسماعيلي، وكان المعز، وهو ما زال في المغرب، قد عين لولاية عهده ابنه الأوسط "عبد الله"، متخطياً ابنه الأكبر "تميمًا"، صاحب الحق الشرعي تبعاً للعقيدة الإسماعيلية، لأنه كان يحيا حياة عبثة بعيدة عما يجب أن يتحلى به من يرشح لإمامة المؤمنين. (المقرئزي: اتعاظ الحنفاء، ج ١، ص ١٤٨).
- (٤) كانت أم الخليفة العزيز بالله نصرانية وزوجته نصرانية على المذهب الملكاني، ولذلك جعل أباها "أرستي" بطريركاً على بيت المقدس سنة ٣٧٥هـ/٩٨٦م، كما جعل أباها الآخر ويدعى "أرسيانوس" مطراناً على القاهرة والفسطاط، وقلد العزيز "يعقوب بن كلس" اليهودي الوزارة، ثم ولاها ليعيسى بن نسطورس النصراني سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م، واستتاب على الشام "منشا بن إبراهيم القرزاز" اليهودي على الشام، ولكن تلك التعيينات للنصارى واليهود في المناصب الهامة للدولة أثارت حفيظة المسلمين. (محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠١١م ص ٨١).
- (٥) المقرئزي: اتعاظ الحنفاء، ج ١، ص ١٤٩.



ونبع عدد كبير من العلماء في عصره، ففي مجال الطب ظهر نبوغ "علي بن رضوان" الطبيب والفيلسوف والرياضي الكبير، ونبع في التاريخ الكاتب العظيم "الحسن بن زولاق"، الذي تعد كتبه أهم مصادر دولة الفاطميين.

وقد خلف العزيز بالله ابنه المنصور الذي لقب بالحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) (١)، فكان أهم أعمال الإصلاح الاجتماعي ومقاومة الفساد الذي استشرى في المجتمع المصري أيامه وأيام والده الخليفة العزيز، الذي لم يكن يتشدد مع الناس في الالتزام بالآداب العامة، والذي لم يضع حدًا لتمادي شعب مصر في الانغماس في الملذات والشهوات، واتخاذ ضروب الملاهي، وعدم التقيد بمحظورات الدين، فلقد ازداد في عهد العزيز إقبال الناس على شرب الخمر، وتبرج النساء، وخاصة في أيام الأعياد والمناسبات القومية والدينية، فضلاً عن استخفاف البعض بمشاعر الناس وبتقاليد المجتمع وارتكاب ما يخش الحياء في الأماكن العامة، وقد كان لكل ذلك رد فعل لما قام به الحاكم بأمر الله من تضيق وتجاوز في الأحكام عليهم أيام حكمه (٢).

أما الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١. ٤٢٧هـ/١٠٢٠. ١٠٣٥م) (٣) فكان ينظر في مصالح الرعية بنفسه (٤)، ووجه عنايته إلى ترقية شئون البلاد وعمل على تحسين أحوال الزراعة في البلاد وزيادة إنتاج الأرض وتغلب على أزمة الغلاء التي وقعت بالبلاد سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م بسبب قلة مياه نهر النيل (٥).

(١) هو الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز بالله أبي المنصور نزار بن المعز بالله أبي تميم معد، الثالث من خلفاء مصر الفاطميين. ولد بمصر يوم الخميس ٢٦ ربيع الأول سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م، وولاه أبوه عهد الخلافة في شعبان سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م، وبويع بها يوم مات أبوه يوم الثلاثاء ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، فولى الخلافة وله إحدى عشرة سنة ونصف، واختير له لقب الحاكم بأمر الله. (المقريري: اتعاظ الحنفاء، ج ٢، ص ٣).

(٢) عطية القوصي: تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، ص ٨٣.
(٣) هو الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور، الرابع من خلفاء مصر الفاطميين، ولد بالقاهرة في ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م، وولى الخلافة بعد قتل أبيه الحاكم في شوال من سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م، وقيام عمته (ست الملك) في أمره. (المقريري: اتعاظ الحنفاء، ج ٢، ص ١٢٤).

(٤) المقريري: اتعاظ الحنفاء، ج ٢، ص ١٢٩.

(٥) المقريري: اتعاظ الحنفاء، ج ٢، ص ١٣٦.



وفى بداية حكم المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) (١) تحكمت أمه السودانية الأصل في أمر البلاد (٢)، ولم يتمكن من الانفرد بحكم البلاد إلا بعد وفاتها (٣).

وبرغم كل الصعاب التي مرت بها مصر في عهده والتي أدت إلى تقلص سيادتها على البلاد التي كانت تابعة لها، إلا أن مصر تمتعت بالأمان والاستقرار، في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، حين زارها الرحالة الفارسي "ناصر خسرو" في الفترة ما بين سنوات (٤٣٩-٤٤٢هـ/١٠٤٧-١٠٥٠م)، وهو ذاهب لأداء فريضة الحج إلى الأراضى المقدسة (٤).

ولم يستمر هذا الأمن والاستقرار والرخاء الذي سجله ناصر خسرو، بمصر طويلاً زمن حكم الخليفة المستنصر، وذلك بسبب الأزمة الاقتصادية الطاحنة والمجاعة الشديدة التي تعرضت لها مصر في عهد هذا الخليفة والتي عرفت بـ"الشدة المستنصرية"، والتي تعتبر أطول فترة مجاعة وابتلاء عرفتها مصر (٥).

(١) هو المستنصر أبو تميم بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور، المصري المولد والنشأة والوفاة، وهو الخامس من خلفاء مصر الفاطميين، والثامن من عبيد الله المهدي، ولى الخلافة بعد موت أبيه الظاهر في يوم الأحد منتصب شعبان سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م، وكان عمره يوم ولى الخلافة سبع سنين وسبعة وعشرين يوماً، وحكم لمدة سنتين عاماً وأربعة شهور حتى وفاته سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وكانت مدة حكمه أطول مدة حكم لحاكم في التاريخ الإسلامي، ولم تتمتع مصر، طوال مدة حكمه، بالأمن والرخاء غير فترة قصيرة، وحدثت فيها أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية أدت إلى تدهور أحوال الخلافة الفاطمية في عهد حكمها الثاني. (المقريزي: تعاض الحنفا، ج ٢، ص ١٨٤).

(٢) كانت أم المستنصر سودانية، اشتراها الخليفة الظاهر من تاجر يهودي أصله من مدينة تستر الفارسية يدعى "أبا سعد سهل بن هارون التستري"، واستولدها المستنصر، فأحرز التستري المكنة في مصر في عهد وصاية السيدة الوالدة أيام طفولة المستنصر بالله، وحكمت السيدة الوالدة البلاد مع التستري، وحين قام المستنصر بتعيين وزير له هو "أبو منصور كان القواد الأتراك إلى جانبه وزاد في مخصصاتهم وتآمر معهم في الخلاص من التستري وقتله ونجحوا في ذلك، فغضبت السيدة الوالدة لمقتل التستري فحرضت رجالها على قتل الفلاحى انتقاماً للتستري ونجحوا في ذلك، ولكي تنتصر السيدة الوالدة أمام قوة قواد الأتراك عمدت إلى شراء عدد كبير من رقيق السودان وجعلتهم جنوداً لها. (المقريزي: تعاض الحنفا، ج ٢، ص ١٩٩).

(٣) استعان الخليفة المستنصر بوزراء محنكين ساعده في إدارة أمور الدولة، مثل الوزير "اليازورى" الذى عرف بسيد الوزراء، وامتد سلطان الفاطميين في تلك الفترة على بلاد الشام وصقلية وبلاد المغرب، ودعى للخليفة المستنصر من على منبرى الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، كما دعى له في سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م من على منابر اليمن، دعى له حاكمها "على بن محمد الصليحي". (ابن تغري بردي: بدائع الزهور، ج ٥، ص ٧٢).

(٤) ناصر خسرو علوي (أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القيادي المروزي، ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م): سفر نامه، ترجمة بحبي الخشاب، تصدير عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م، ج ١، ص ٥١.

(٥) الشدة العظمى بدأت سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م، ظلت سبع سنوات. (نجوى كيرة: دور المماليك السياسي والاجتماعي في مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٣٠).



وسبب هذه الشدة هو توقف فيضان نهر النيل مدة سبع سنوات (٤٥٧-٤٦٤هـ/١٠٦٤-١٠٧١م) متصلة، الأمر الذي أدى إلى توقف الزراعة وانعدامها وخراب البلاد وموت أهل مصر جوعاً وانقطاع السبل برّاً وبحراً، ويقول المقرئزي: "إن في هذه الشدة لم يعد أحد يركب في مصر إلا الخليفة؛ لفناء الدواب، وكان خواص الخليفة إذا مشوا يتساقطون من الجوع، وآل الأمر إلى أن استعار المستنصر بغلة يركبها من صاحب ديوان الإنشاء، وكان ذلك سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م" (١).

وبسبب الاضطراب والفوضى التي عمت البلاد، أرسل الخليفة المستنصر إلى أمير الجيوش الأرميني "بدر الجمالي" حاكم عكا (٢)، يطلب منه المجيء لإنقاذ الخلافة والبلاد وكان بدر الجمالي قد أظهر شجاعة فائقة في حربه ببلاد الشام مع الخارجيين على الدولة هناك، وقيل الجمالي طلب المستنصر، وجاء إلى مصر بعد أن ركب البحر من عكا، ودخل القاهرة في شتاء سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م، فقلده الخليفة الوزارة وأعطاه السلطة المطلقة والحرية التامة في إدارة أمور البلاد ورأب الصدع الذي تعرضت له، وأخذ بدر الجمالي في إصلاح أمور الديار المصرية، فانتزع الشرقية من أيدي عرب لواتة البربرية، وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر أمراءهم وأخذ منهم أموالاً كثيرة، وعمر الريف، فرخصت الأسعار ورجعت إلى عاداتها القديمة. ثم أخذ الإسكندرية وسلمها إلى القاضي ابن المحيرق، وأصلح أموال الصعيد واستدعى كبارهم إليه فجاء منهم الكثير، وصلح الحال ورفعت الفتن، وعادت الأمور إلى نصابها بفضل عودة مياه النيل إلى طبيعتها الأولى وجريان الفيضان السنوي، فتوقفت المجاعة وعاد دولا العمل في البلاد إلى ما كان عليه قبل أيام الشدة، وانفرد أمير الجيوش بدر الجمالي بالأمر إلى أن مات في خلافة المستنصر سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وتولى بعده ابنه الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي (٣).

وبموت الخليفة المستنصر انتهى عصر الخلفاء الفاطميين الأقوياء، وأخذ الضعف يذب في جسم الدولة الفاطمية في عصرها الثاني، واستأثر الوزراء فيها بالنفوذ والسلطان، وأصبح الخلفاء مسلوبي السلطة مع الوزراء، وقد حرص هؤلاء الوزراء على اختيار خلفاء ضعاف لحكم البلاد

(١) المقرئزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ١٤.

(٢) بدر الجمالي كان مملوكاً أرمينياً للامير جمال الدولة بن عمار، ثم أخذ يترقى في المناصب لما أظهره من كفاية خلال الحروب التي قلمت في بلاد الشام حتى ولى إمارة دمشق من قبل المستنصر سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م وأخذ يحارب الأتراك في تلك البلاد ولم يلبث أن أصبح من أقوى قوادها، ثم تقلد نيابة عكا سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م. (المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣٨١).

(٣) ابن ميسر (أبو عبد الله تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن ميسر، ت ٦٧٧هـ / ١٣٧٨م): تاريخ مصر، ط هنري ماسيه، القاهرة ١٩١٩م، ص ٣٠.



يستطيعون في ظلهم أن يفرضوا سيادتهم وسيطرتهم وأن ينفذوا في ظلهم ما يريدون تنفيذه من سياسة ليكون لهم النفوذ الفعلي في الدولة (١).

سودان وادي النيل في العصر الفاطمي الأول:

ضم السودان وادي النيل في العصر الفاطمي الأول المنطقة المعروفة بالنوبة (٢)، والتي احتوت أجزاء وادي النيل الممتدة من أسوان إلي جنوبي النقاء النيلين الأبيض والأزرق، بالإضافة إلي مناطق من حوض النيل الأزرق حتى أطراف الحبشة شرقاً وإقليم كردفان ودارفور غرباً (٣).

وعلى وجه التحديد يحتل السودان وادي النيل في حدوده الإدارية ما يقرب من مليون ميل مربع وتبلغ المسافة بين أبعد نقطتين بين حدوده ما يقرب من الأربعمائة والألف من الأميال طولاً وما يقرب من المائتين والألف من الأميال عرضاً. وتبدأ حدوده الجنوبية من شمال خط الاستواء، وتنتهي في الشمال عند منطقة وادي حلفا، وتقع على حدوده الجنوبية البحيرات العظمى وشرقاً الحبشة وبحر القزم وغرباً ما يعرف بالسودان الأوسط "الكانم والبرنو" وشمالاً مصر التي تمثل الشطر الشمالي لوادي النيل (٤).

ويضم السودان وادي النيل مساحة متميزة لوحدة تضاريسية لها سمات خاصة من حيث شكل السطح والعوامل التي أسهمت في تشكيل الصورة التضاريسية، ويعتبر جريان النيل من أهم الظواهر التي أكسبت صورة التضاريس كل الخطوط الأساسية التي تبرز معالم التضاريس وصفاتها، وتشمل هذه الوحدة أرض وادي النيل في مصر والنوبة (٥).

- (١) عطية القوسي: تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، ص ١٠٠.
- (٢) ينسب الطبري تسمية النوبة إلى نوبة بن حام بن نوح عليه السلام، بينما يرجع "بيكيت Beckett" هذه التسمية إلى أصلها المصري القديم الذي يعنى أرض الذهب، وذلك أن لفظة "نوب" في اللغة المصرية القديمة تعنى الذهب. (الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٢١٦؛ - Beckett, M.: Nubia and the Berberine, Cairo Scientific Journal, August 1911, P. 195.
- (٣) كانت النوبة أكبر مساحة مما هي الآن؛ إذ كانت تشمل وقتذاك على أجزاء وادي النيل الممتدة من أسوان إلي جنوبي النيلين الأبيض والأزرق، وذلك بالإضافة إلي مناطق من حوض النيل الأزرق ونهر عطبرا حتى أطراف الحبشة شرقاً، وأقاليم كردفان ودارفور غرباً. (كرم الصلوي باز: مصر والنوبة في عصر الولاية، دراسة في التاريخ الاجتماعي في ضوء أوراق البردي العربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٩، ١٠).
- (٤) أحمد الحفناوي: السودان وادي النيل في ظل الاسلام، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م، ص ١٦.
- (٥) عبد العليم عبد الرحمن خضر: حضارة الإسلام في وادي النيل، دراسة في جغرافية انتشار الإسلام، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية ١٩٨٥م، ص ٩٥.



وتقع النوبة ضمن بلاد السودان الشرقي جنوب مصر ، قاعدتها دنقلة ومدنها أشبه بالقري والضِّياع (١)، وهي أوسع من الحبشة في نواحيه وعمارتهم أكثر مما بالحبشة (٢).

ويتصف هذا الجزء من وادي النيل بطواهر جغرافية مهمة، أثرت في تاريخ الجماعات البشرية التي استوطنته في مختلف العصور، ومن أهم هذه الظواهر كثرة انحناءات المجرى فيما بين مدينتي أسوان والخرطوم، فضلاً عن إعتراض الجنادل. وهو بهاتين الظاهرتين يمثل القطب الذي ترتبط به حياة السكان الذين تجمعوا في واديه الصحراوي الضيق (٣).

وثمة ظاهرة أخرى هي اختلاف الأحوال الجوية بين جزأي الإقليم، فبينما نرى منطقة يصيبها مطر صيفي محدود وتمتد من جنوبي بربر إلى الخرطوم، نرى منطقة نادرة الأمطار أو تكاد تكون عديمة الأمطار، وهذه تمتد من شمالي بربر إلى أسوان. لذلك قسم الجغرافيون إقليم النوبة إلى ثلاثة أقسام هي: وادي النوبة العليا، ووادي النوبة الوسطى، ووادي النوبة السفلى (٤).

أما وادي النوبة العليا فيمتد من منطقة التقاء النيلين الأبيض والأزرق إلى دنقلة، وتبتعد حافة الوادي بعض الأحيان قليلاً على جانبي النهر فينتسح الوادي، وتصبح له صفة الحوض، الذي تتغمر بعض أجزائه خلال أيام الفيضان، ويتمثل ذلك في الجزء الذي يقع فيما وراء شندى (٥)، وكذلك الجزء الذي يمتد إلى ما وراء الجانب الأيسر من النهر، فيما بين مروى (وأبو فاطمة) (٦). وتمثل هذه هذه المناطق التي يتسع فيها الوادي على أحد الجانبين مركز تجمع السكان الذين تساعدهم البيئة الطبيعية على مباشرة الزراعة، معتمدين على مياه النهر (٧).

(١) أنظر الشكل رقم (١).

(٢) ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلية، ت ٣٥٠هـ / ٩٦١م) : صورة الأرض، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٧م، ج ١، ص ٥٦.

(3) Tohill, J.D.: ed.: Agriculture in the sudan, by numerous authors. London 1940, p. 744.

(٤) محمد عوض محمد : السودان الشمالي، سكانه وقبائله، مصر ١٩٥١م، ص ٢٨٥.

(5) Tohill, J.D.: ed.: Op. cit. p., 744.

(٦) محمد عوض محمد: نهر النيل، ط ٢، مصر ١٩٤٢م، ص ١٢١.

(٧) مصطفى محمد سعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العلمية للكتاب، القاهرة ٢٠١١م، ص ١٨.



وفي هذه المنطقة قامت دولة كوش، وكانت عاصمتها نباتا ثم بعدها مروى (١)، والتي تكونت في منطقة يتسع فيها الوادي اتساعاً ملحوظاً، حتى أصبحت مركزاً زاول فيه السكان الزراعة، وكانت مروى تعتبر مركزاً مهماً للتجارة، لا بين الجنوب والشمال عن طريق النيل فحسب، بل كذلك بين سهول كردفان في الغرب ومواني بحر القلزم (الأحمر) في الشرق (٢).

أما وادي النوبة الوسطى فيمتد من دنقلة إلى حلفا، ولا يزال جزءاً أساسياً من أوطان النوبيين. واحتفظ النوبيون به عندما اضطرتهم الأحوال البشرية التي سادت إلى التخلي عن أغنى الأجزاء من وطنهم، وهذا الإقليم يتصف بضيق واديه وكثرة ما يعترض مجرى النهر من جنابل (٣). ويقال القيمة القيمة الإنتاجية لهذا الإقليم، ضيق الشريط، الخصيب على جانبي النيل، وارتفاعه كثيراً عن مستوى النهر. ومما يزيد الحياة صعوبة كذلك وقوع هذا الإقليم في وسط النطاق عديم المطر. وتتراوح كمية المطر السنوي بين الصفر وخمسة مليمترات فلا يصيب الإقليم إلا بعض الرذاذ الذي يتساقط فجأة ودون أن يكون لسقوطه قيمة تذكر (٤).

وأما وادي النوبة السفلى فيمتد بين وادي حلفا وأسوان، ويمثل بذلك المرحلة الأخيرة للوادي الضيق، وهذا الجزء من الوطن النوبي محدود القيمة، ففي مدة ارتفاع المناسيب يبدو النهر منحصرًا بين حائطين جبليين شديدي الانحدار، ويبدو هذان الحائطان عموديين في بعض المواضع، ويشرف على النهر مباشرة بعض الثغرات التي تمثل فتحات للأخوار والوديان التي تنساب إلى النهر من الجانبين الشرقي والغربي (٥).

أما فيما يتعلق بالنهر ذاته فهو معتدل الجريان صالح للملاحة (٦)، وفي مدة انخفاض المناسيب ينحصر النهر عن شريط ضيق، يظهر هنا وهناك في أحد الجانبين، وفي هذا الشريط يكثر النخيل ويهبط السكان من حافتي الوادي ليمارسوا الزراعة، فيزرعون مساحات محدودة للغاية، أما في

(١) مدينة نباتا وهي العاصمة القديمة لدولة كوش تقع عند سفح جبل البركل قريبا من الشلال الرابع، أما مروى فهي بخلاف مروى الجديدة والتي تجاوز مدينة نباتا ومروى القديمة تقع بالقرب من كبوشية الحالية ويسمى الإقليم الواقع بين الأتبرا والنيل جزيرة مروى. (مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، ص ٣٣).

(2)Trimingham, J. S.: Islam in the Sudan, London, 1956, pp. 42-43.

(٣) محمد عوض محمد: نهر النيل، ص ١٢٢، ١٢٣.

(4) Tothill. J.D. ed. Op. cit. pp. 742-750.

(٥) مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٢٠.

(٦) محمد عوض محمد: نهر النيل، ص ١٢٣.



موسم الفيضان فتغمر تلك المساحات، ويصعد السكان إلى قراهم فيما وراء مستوى التخزين ويباشرون زراعة مساحات أشد ضيقاً في مصاطب يعدونها على المنحدرات ويرفعون الماء إليها بالسواقي.

وفي هاتين المنطقتين النوبة السفلى والوسطى وقامت مملكة النوبة الشمالية وأطلق عليها اسم (مقرة) وعاصمتها دنقلة. وامتدت هذه المملكة من جنوبي أسوان إلى منطقة الأبواب (١). ويبدو أن اختيار دنقلة عاصمة للدولة المسيحية في الشمال كان نتيجة لوقوعها في منطقة يتسع فيها الوادي، بحيث يسمح بقيام حياة بشرية مستقرة بها (٢).

وعرفت هذه المنطقة جميعها، أي النوبة العليا والوسطى والسفلى، وهي التي تمتد من الشلال الأول في الشمال إلى جنوبي التقاء النيلين الأبيض والأزرق باسم النوبة في العصور الوسطى.

كما أطلق المؤرخون المسلمون اسم النوبة على أرض وادي النيل الممتدة على جانبي نهر النيل بين مدينتي أسوان والخرطوم الحالية على وجه التحديد (٣)، وعرفت باسم (القصر)، وهي تبعد عن أسوان خمسة أميال إلى الجنوب وميلاً واحداً من جزيرة بلاق "قبيله" (٤).

وكانت تقوم في بلاد النوبة قبل الفتح العربي لمصر مملكتان مسيحتان، تعرف الشمالية منهما باسم مملكة "مقرة" (٥)، وتعرض الجنوبية باسم مملكة "علوة" (٦).

وكانت مملكة مقرة تمتد من حدود مصر الجنوبية حتى بلدة الأبواب (كبوشية الحالية) وعاصمتها مدينة دنقلة أو نُمقلة (١)، وكانت مقرة تنقسم بدورها إلى أقاليم يحكم كل إقليم منها وإل من

(١) ما زال النهر ما بين الشلال الأول والسلاس يعرف باسم النيل النوبي، ويعني هذا أن النوبيين خلدوا اسمهم على النهر بعد أن تخلوا عن جزء كبير من واديه من الخرطوم إلى الدبة. (مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٣٣).

(٢) مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٢١.

(٣) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، ت ٢٧٢هـ/٨٩٥م): تاريخ اليعقوبي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢م، ج ١، ص ١٩١.

(٤) المقرئزي: الخطط، ج ٣، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٥) نتجت مملكة مقرة من اتحاد مملكتين مسيحتين هما مملكة مقرة ومملكة نوباديا، اللتين قامتا على أنقاض مملكة مروية النوبية القديمة التي انهارت عام ٣٥٠م على يد عزيزنا ملك أكسوم، وقد تم هذا الاتحاد قبل الإسلام أو بعده بقليل أي فيما بين عامي ٥٨٠، ٦٥٢م. (الواقدي: محمد بن عمر الواقدي): فتوح مصر والإسكندرية، ط ليلين ١٩٥٢م، ص ٣-٤. مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة، ص ٦٢-٤. كرم الصلوي بلز: مصر والنوبة في عصر الولاة، دراسة في التاريخ الاجتماعي في ضوء أوراق البردي العربية، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٢٦٧).

(٦) مملكة النوبة العليا عرفها مؤرخو العرب باسم علوة، وهي تمتد جنوبي مقرة حتى بلدة القطنية على النيل الأبيض وعاصمتها سوبا، وتشمل هذه المملكة بعض جهات الأتبرا، والنيل الأزرق شرقاً حتى حدود الحبشة، وبعض جهات كردفان ودارفور. (المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٩٣).



من قبل ملك النوبة، وكان أرفع هؤلاء الولاة شأنًا صاحب الجبل (٢)، الذي يحكم المنطقة المعروفة باسم "مريس" (٣). وتشمل المنطقة الشمالية الممتدة على بعد خمسة أميال جنوبي أسوان حتى المقس الأعلى (٤). أما عاصمة منطقة مريس فهي مدينة "بجراش" أو "تجراش"، كما تعتبر مدينة "أبريم" التي تقع جنوبي أسوان بنحو مائتي كيلو متر من أهم مدنها، وكذلك مدينة "الدر" التي كانت توجد بها قلعة "الدو" الحصينة (٥).

أما مملكة علوة (٦)، فقد اتفق المؤرخون على أن حدها الشمالي يبدأ عند منطقة الأبواب (كبوشية الحالية) (٧)، غير أنهم أغفلوا ذكر بقية حدودها (٨)، وإن كان ابن سليم الأسواني قد انفرد دونهم بقوله: إن أول بلاد الحبشة هو حد علوة الشرقي (٩). ولعل الأبحاث الأثرية التي تمت في منطقة النيل الأوسط، حيث قامت مملكة علوة المسيحية، تعطينا صورة أدق لحدود هذه المملكة، والراجح أنها كانت تمتد من الأبواب شمالاً إلى القطينة على النيل الأبيض جنوباً، وإنها شملت جهات عطبرة والنيل الأزرق حتى حدود الحبشة شرقاً وبعض جهات دارفور وكردفان غرباً.

- (١) تقع دنقلة القديمة إلى الشمال من دنقلة الحالية بنحو مائة ميل تقريباً، كما تقع على الضفة الشرقية للنيل بعكس دنقلة الحالية، وللتمييز بين دنقلة القديمة و دنقلة الحالية فقد أطلق على الأولى اسم دنقلة العجوز، (نعم شقير: السودان القديم والحديث وجغرافيته، القاهرة ١٩٠٣م، ج ٢، ص ٥٥).
- (٢) هو حاكم إقليم مريس الممتد من الشلال الأول إلي الشلال الثاني، كان له سلطات مطلقة لا تقل عن سلطة الملك الكبير في دنقلة، وذلك لاتصال ولايته بمصر الإسلامية، وكان مكلف بالدفاع عن الحدود الشمالية للمملكة، وعم السماح بالمرور لاي شخص كان جنوباً عن حدود ولايته الا بتصريح منه. (المقريزي: الخطط ج ١، ص ١٩٠ - المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٢٤٥).
- (٣) معنى مريس في اللغة القبطية الجنوب، والى مريس تنسب الرياح المريسية، وهي الرياح الجنوبية الباردة التي تهب على مصر في فصل الشتاء. (ابن الفقيه الهمداني: البلدان، ط ليدن ١٩٨١م، ص ٧٤ - عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، دار المعارف، مصر ١٩٨١م، ص ٤١).
- (٤) المقريزي: الخطط، ج ١، ص ١٨٩.
- (٥) المقريزي: نفسه، ج ٣، ص ٢٥٣.
- (٦) يقول ميلهام: إن كلمة علوة في اللغة القبطية القديمة تعني أنهار النيل السبعة.
- (٧) (Mileham, S. Geoffrey: Churches in Lower Nubia, Philadelphia 1910, p. 3)
- (٨) اليقوبي: تاريخ اليقوبي، ج ١، ص ١٩١ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٠٨ - المقريزي: الخطط، ص ٢٥٨.
- (٩) قدر اليقوبي طول مملكة علوة بثلاثة أشهر، وقدر ياقوت المسافة بين عاصمة مقرة إلى حدود علوة بثلاثة أشهر (اليقوبي: تاريخ اليقوبي، ج ١، ص ١٩١ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٠٨).
- (٩) المقريزي: الخطط ج ٣، ص ٢٨٦، نقلاً عن ابن سليم الأسواني.



أما عاصمة هذه المملكة فهي مدينة "سوبة" أو "سوبا"، التي كانت تقع شرقي مدينة الخرطوم الحالية بنحو خمسة عشر ميلاً (١).

وتتقسم مملكة علوة بدورها مثل مقرة إلى ولايات صغيرة، تسمى كل منها مملكة ويحكمها نائب عن الملك، وأهم هذه الولايات: مملكة "الأبواب"، وكان لصاحبها من المكانة في ولايته ما كان لصاحب الجبل في مملكة مقرة، وذلك بسبب متاخمة ولايته لحدود مملكة مقرة المعادية (٢)، وكانت مملكة علوة أعظم خطراً من مقرة، لأنها كانت أكثر اتساعاً وأكثر ثروة، وبالتالي أعظم قوة (٣).

أما عن صلة النوبيين بالعرب فهي قديمة يرجع تاريخها إلى أقم العصور، وكانت التجارة أهم عوامل هذه الصلة، ذلك أن السفن كانت تتردد بصورة منتظمة بين شواطئ شبه الجزيرة العربية وموانئ مصر والسودان والحبشة وهي تنقل العاج والصبغ واللبان والذهب والرقيق، ومن هذه الموانئ التجارية الواقعة على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر توغل العرب في وادي النيل وفي قلب أفريقيا حاملين سلعهم وبضائعهم (٤).

غير أن التدفق الكبير للهجرات العربية إلى بلاد النوبة حدث بعد الفتح العربي لمصر (٥) التي أصبحت مهبطاً للقبائل العربية المهاجرة من الجزيرة العربية (٦). وقد وفدت هذه القبائل جماعات جماعات نلو الأخرى، بعضها اتجة إلي الصعيد وشمال النوبة حيث تشابه البيئة إلي حد كبير مع بيئة الجزيرة العربية (٧). لذلك اهتم حكام مصر منذ عمرو بن العاص بالنوبة لضمان المحافظة علي

(١) سوبة أو سوبا هي عاصمة مملكة علوة المسيحية، وتقع على الضفة اليمنى للنيل الأزرق غير بعيدة عن نقطة التقاء النوبة بالنيل الأبيض، وقد ورد ذكر سوبا لأول مرة في لوحة تنسب إلى أحد ملوك مروى سنة ٣٢٨ قمرز بمناسبة ذكرى جلوس الإله آمون على عرش البلاد، وقد احتلت مدينة سوبا المركز التجاري الثاني بعد مدينة مروى العاصمة (عبدالمجيد عابدين: ميلاد سوبا، مجلة الجمعية التاريخية السودانية، م ١، ج ٢؛ - كرم الصاوي: مصر والنوبة في عصر الولاة، ص ٢٦٧).

(٢) يظهر هذا العداء في عدم تقدم مملكة علوة بأية مساعدة لمملكة مقرة حين تعرضت لخطر الغزو العسكري من جانب مصر. (عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز، ص ٤٣).

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٩.

(4) Mac Michael: A History of the Arabs in the Sudan, Vol. I, pp. 3-4

(٥) قبل الفتح العربي الإسلامي لمصر كانت تقوم في بلاد النوبة مملكتان مسيحيان تعرف الشمالية باسم "مملكة مقرة" مقرة وتعرف الجنوبية باسم "مملكة علوة". (عطية احمد القوصي: تاريخ دولة الكنوز، ص ٤١).

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٩.

(٧) هذه الحملة بقيادة والى مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح سنة ٣١هـ/٦٥١م فهزم فيها "فليدروث" ملك النوبة.

Budge, E.A.W.,: The Egyptian Sudan, Its Hisotry and Monuments, London 1907, vol. Ie,

p. 18).



علي الحدود المصرية، وتأمين طرق التجارة (١)، وانتهى الأمر بين مصر والنوبة إلى عقد معاهدة صلح أسموها (معاهدة البقط)(٢). كان من نصوصها "أنه علي النوبيين الذين يدخلون في صلح مع المسلمين دفع كذا من الرؤوس، وفتح بلادهم لتجارة الصادر والوارد"(٣).

(١) أرسل عمرو بن العاص، عقبة بن نافع علي رأس فرقة من الفرسان سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م، لفتح بلاد النوبة، وأبدي النوبيون مقاومة عنيفة، مما جعل خسائر المسلمين كبيرة، وحال دون توغلهم جنوباً. (المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٨-٣٩ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ٣٣٦).

(٢) البقط حسب اللغة المريسية وهي اللغة التي ما زال يتكلم بها النوبيون، خاصة سلالة بني كنز، يعنى جزء من القسمة أو النصيب، فإذا قيل "أعطني بقطي"، يعنى أعطني حقي أو نصيبي، وهو مشتق من كلمة (باق) بمعنى قسم أو قسم الشيء أي فرقه. (عبد الله رزق عبد المجيد سليم: العلاقات بين مصر والنوبة في العصر الفاطمي ٣٥٨-٥٦٨هـ/ ٩٦٩-١١٧١م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ١٩٧٨م، ص ٢٠)؛ - ويقول المقرئزي: "البقط يقبض من سبي النوبة في كل عام ويحمل إلى مصر بقط من بقل وعشب من مرعى، فيكون معناه على هذا نبذه من المال أو يكون من قولهم: إن في بني تميم بقطاً من ربيعة أي فرقة أو قطعة فيكون معناه على هذا، فرقه من المال أو قطعه منه، ومنه بقط الأرض فرقة منها، ويقط الشيء فرقة. (المقرئزي: المواعظ والاعتبار، ج ١، ص ١٩٩-٢٠٠)؛ - ولفظ البقط أما يعنى الاتفاق أو المودعة أو الضريبة التي تدفع عينا.

(Budge, E. A W.: the Egyptian Sudan, Its History and Monuments, London 1907,)
(P.185.

(٣) بنثر (الفرد ج. بنثر): فتوح العرب لمصر، تحقيق محمد فريد أبو حديد بك، مكتبة مديولي، القاهرة دت، ص ٢٣٨؛ - كرم الصلواوي ياز: مصر والنوبة في عصر الولاة، ص ٢٨٥؛ - واللافت للنظر في هذا الصلح أنه نص على ما يدفعه النوبيون، على حين أنه لم يلزم المسلمين بدفع أي شيء لهم (عبد العزيز أمين عبد المجيد: التربية في السودان من أول القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر والأسس النفسية والاجتماعية التي قامت عليها، ج ١، المطبعة الأميرية المصرية ١٩٤٩م، ص ٣)؛ - أما ما جري عليه العرف من إرسال مصر للحبوب والملابس إلى النوبيين، فهو نتيجة لقتناع عبد الله بن أبي السرح (٣١هـ/٦٥١م) بحاجتهم إليها لفقر بلادهم ولم يطبق المسلمون ما طبقوه علي البلاد التي فتحت عنوه (مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، ص ١١٤)؛ - والملاحظ أنه منذ عقد تلك الاتفاقية تحسنت العلاقات بين النوبة ووالى مصر "بن أبي السرح" فتبدل ما جاء في البقط، وأرسل ملك النوبة منبراً خشبياً ببيع الصنع لوضعه في جامع عمرو بن العاص، كما أرسل نجاراً نوبياً ماهراً لتركيبه في ذلك الجامع. (الفلقسندى (أبو العباس أحمد بن على، ت ٤١٨هـ/٨٢١م): صبح الأعشى في صناعة الانشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٨م، ج ٣، ص ٢٤١)؛ - ويتضح من هذا أن الإسلام شق طريقه قبل هذا إلى بلاد النوبة لأن وجود المساجد والمسلمين الذين يدخل عمال أمير المؤمنين لقبض صدقاتهم دليل على انتشار الإسلام بين العرب المقيمين في البجة، وكذلك بين البجة أنفسهم لاختلاطهم بالعرب. وعندما انهارت الخلافة الأموية واصل العباسيون تعقب بني أمية فقر منهم من استطاع الفرار إلى بلاد النوبة وأستقر بعضهم في ميناء باضع. (المسعودي (أبو الحسن علي ابن الحسين المسعودي، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): التنبيه والأشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصلواوي، مكتبة الشرق الإسلامية، القاهرة ١٩٣٨م، ص ٣٠)؛ - ودلت الأبحاث الأثرية على وجود شواهد قبور إسلامية وعلي مسجد وتكنات. وربما نزحت بعض القبائل العربية من صعيد مصر وتوغلت في الصحراء الشرقية تحت ضغط قبائل عربية أخرى. (مكي شيكبة: السودان عبر



وعندما دخلت الجيوش الفاطمية مصر بقيادة جوهر الصقلي سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م، وعلم بغارات النوبيين داخل الأراضي المصرية وامتناعهم عن دفع البقط، أرسل أحمد بن سليم الأسواني لملك النوبة جورج يطالبه بدفع ما عليه من بقط (١).

وعلى الرغم من ذلك فقد اتسم العصر الفاطمي الأول بقيام علاقات تدل على حسن الجوار والمسالمة بين مصر والنوبة (٢). غير أن هذا العصر شهد ميلاد إمارة عربية قوية اتخذت من مدينة أسوان مركزاً لها (٣)، وامتد نفوذها جنوباً في أرض مريس، وأنشأ هذه الإمارة زعيم من عرب ربيعة اسمه أبو مروان بشر بن إسحق. ثم لم يلبث النزاع أن نشب في العلاقي وعيذاب بين بطون ربيعة ذاتها وقتل بشر بن إسحق وخلفه على زعامة القبيلة ابن عمه أبو عبد الله محمد علي، المعروف باسم أبي يزيد بن إسحق، واختلط عرب ربيعة بالنوبيين وتزوجوا بنات رؤسائهم، فأضحت لهم مصالح مادية في بلادهم، لانتفاعهم بنظام الوراثة المعروف عند النوبيين، وهو توريث ابن البنت أو ابن الأخت (٤).

والراجح أن هذه العشيرة كونت طبقة حاكمة خضع لها النوبيون من أهل مريس الذين زال عنهم السلطان الفعلي لملك النوبة المسيحي، لا سيما بعد أن تحول معظمهم إلى الإسلام ثم اعترفت الدولة

القرن، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤م، ص ٢١)؛ - ومما لا شك فيه أن هذه الجماعات الإسلامية المختلفة تركت لونا من التأثير فيمن اختلطت بهم من البجة، بل أن بعضهم تخلف في بلاد البجة وتعلم اللغة الجاوية ليسهل عليه التعامل مع الجاويين والتأثير فيهم. ولكن البجة في العصر العباسي عادوا إلى التمرد فأرسل إليهم الخليفة المتوكل وأمر واليه علي مصر بإرسال جيش ضخم تولى قيادته محمد بن عبد الله القمي الذي نجح في إيقاع الهزيمة بالجاويين وطلب ملكهم الصلح علي أن يدفع الخراج لما سلف، فصالحهم القمي، علي أن يطأ ملكهم بساط الخليفة في سر من رأي. وعلى الرغم من هذا ظل الملك علي وثيقته ولم يعتنق الإسلام. وكان صلحه مع العرب تأكيدا لما سبق أن تعاهد عليه العرب والبجة من استغلال مناجم الذهب والزمرد. (البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٢٧٩هـ/١٠٩٤م): فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، مطبعة الموسوعات، القاهرة ١٩٠١م، ص ٢٣٩).

- (١) المقرئزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئزي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م): المقي الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩١م، ص ٢٢٧ - Lane Poole: op. cit. p. 185.
- (٢) عطية احمد القوصي: تاريخ دولة الكنوز، ص ٤٨.
- (٣) المقرئزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئزي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م): البيان والإعراب عما بلأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين، عالم الكتب، القاهرة ١٩٦١م، ص ٤٥-٤٦.
- (٤) هاجرت ربيعة إلى مصر قرابة منتصف القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، وانتشروا في جهات القطر المختلفة، فاستقر فريق منهم حول أسوان، وفريق آخر في العلاقي وعيذاب، وثالث قرابة بليبس، ونجح فريق العلاقي في وضع نواة إمارة عربية إسلامية في العلاقي رئيسها أبو مروان بشر بن إسحق.



الفاطمية بهذه الإمارة العربية النبوية، وذلك حين استعان الخليفة الحاكم بأمر الله بأبي المكارم هبة الله أمير ربيعة في القبض على أبي ركوه (١) الخارج على الدولة الفاطمية وهو يلوذ بالفرار من مصر من ناحية الجنوب (٢) ونجح أبو المكارم في القبض على أبي ركوه سنة ٣٩٧هـ / ١٠٠٦م، ولذا كوفئ بلقب "كنز الدولة" وتوارث أبناؤه هذا اللقب (٣)، ويذكر المقرئ نقلًا عن ابن سليم الأسواني (٤) جملة ذكر فيها أن أولاد كنز الدولة غلبوا على النوبة وملوكها (٥)، وقصدهم الكتاب والشعراء ومدحهم، ومن أولئك: الشديد أبو الحسن ابن عرام، وأبو محمد الحسن بن الزبير (٦).

وقد حفلت النوبة في العصور الوسطى بعناصر سكانية عديدة ومتباينة، منهم النوبيون الذين اختلطوا بالزنج قديمًا، وكانوا يعيشون في الشمال ويستقر بعضهم في قرى على جانبي النيل، وقد أتاح النيل النوبي بما يتضمنه من جنادل وسهول ضيقة للنوبيين فرصة مثلى للاعتصام بذاتهم وكيانهم المتميز، وهم إن تكلموا العربية وأسهموا بقسط من فكرهم في تراثها نجدهم محتفظين بلغاتهم الحامية (٧).

(١) هو أحد الأمراء الأمويين ويدعى "الوليد"، وهو من ولد هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل. (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ص ٣٢؛ - ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٥٨)؛ - وقد سمي "أبا ركوه" لأنه كان يحمل في أسفاره ركوه "إبريق ماء من الجلد" على عادة الصوفيين. (ابن الجوزي (يوسف بن قانوغلي، ت ٦٥٤ هـ/١٢٦٦م): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٢٧٦، ج ٨، ص ١٤)؛ - وأبو ركوه هو أحد أبناء عمومة "المؤيد هشام بن الحكم" الذي حكم الأندلس خلال المدة من ٣٦٦-٣٩٩ هـ/٩٧٦-١٠٠٨م، وكان المؤيد هشام ملكا ضعيفا تحكم فيه وزيره "المنصور بن أبي عامر" وأخفاه عن الناس، وتتبع أهله ومن يصلح منهم للملك، وقتل البعض منهم، وأما من استطاع منهم النجاة من قبضة يده فر من الأندلس وكان منهم أبو ركوه (بيبرس الدوادار (ركن الدين بيبرس المنصوري الناصري الخطائي الدوادار، ت ٧٢٥ هـ/١٣٢٤م): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠١١م، ص ٢٣٥)؛ - ويقول ابن الأثير: "إن أبا ركوه هو أحد الأمراء الأمويين الهاربين من الأندلس، وكان عمره حينئذ يزيد على العشرين بسنه واحده، فقصده مصر، ومنها رحل إلى الحجاز واليمن ثم عاد ثانيًا إلى مصر". (ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٨٢).

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٧٠.

(٣) عمدت الدولة الفاطمية إلى الألقاب الضخمة تتعم بها على الناس من باب المكافأة والاعتراف بالخدمات، وتلك عادة نشأت في بعض الدول الإسلامية بشكل واضح منذ أيام البويهيين في بغداد. (المقرئ: البيان والإعراب، ص ٥٠؛ - ابن خلدون: العبر، ج ٥، ص ٢٨٨).

(٤) من المعروف أن ابن سليم الأسواني توفي في عهد خلافة العزيز بالله والد الخليفة الحاكم بأمر الله، أي إنه مات قبل أن يشهد أحداث أبي ركوه. (عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز، ص ٥٥).

(٥) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٩٢.

(٦) المقرئ: نفسه، ص ١٩٨.

(٧) محمود شاكر: السودان، منشورات العصر الحديث، بيروت ١٩٨٠م، ص ٦٢.



والنوبيون هم المعروفون في مصر بـ "البرابرة" الذين انحصروا في وادي النيل بين الشلال الأول والرابع، وهم خليط من ثلاثة أجناس هم النوبة الأصليون والعرب والترك (١).

وقد استقر معظم العرب على النيلين الأزرق والأبيض، وعملوا في الزراعة والصناعة والتجارة، وبعضهم عمل بالصيد ورعى الماشية. وعرفوا بأسماء قبائلهم أو بأسماء البلاد التي سكنوها، وهم يرجعون في أنسابهم إلى الصحابة وآل البيت وغيرهم من الأصول الشريفة (٢)، ومن أشهر القبائل العربية على النيل الكبير:

المناصير: وموطنهم بين الشلال الرابع وأبى حمد، وقد سموا بذلك لأن أجدادهم قتلوا رجلاً في المنصورة بمصر في زمن غير بعيد ففروا إلى هذه البلاد (٣).

الجليون: يمثلون قسماً واحداً من العباسيين تمركز على مجرى النيل من دنقلة شمالاً إلى خط عرض ١٢ جنوباً، وهم أشهر القبائل العربية، وقد عرفوا بالشجاعة وحب الأسفار، وهم منتشرون في كل مكان حتى الحبشة، وكانوا في حروب مستمرة مع الشايقية، واتخذوا مدينة شندي عاصمة لهم (٤).

الشايقية: استوطن الشايقية المنطقة الواقعة بين كريمة والدبة على شاطئ النيل، وهي تعتبر جزءاً من مجموعة قبائل الجعلية، وهم نتاج اختلاط العرب الذين نزحوا في فترات مختلفة إلى السودان وادي النيل بالسكان الذين كانوا في تلك المنطقة، وهم في الغالب من النوبيين (٥).

العبدلاب: سموا بذلك الاسم نسبة إلى عبد الله جماع، الذي أسس مملكة سنار، والذي كان يقود كتائب القواسمة في الهجوم أدى الي سقوط مملكة علوة ثم استطاع أن يكون من القواسمة بيت

(١) أحمد الحفناوي: السودان وادي النيل في ظل الإسلام، ص ٢٥.

(٢) أحمد الحفناوي: نفسه، ص ٢٦.

(٣) نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، دار الثقافة، القاهرة ١٩٥٦م، ص ٥١.

(٤) كرم الصلوي باز: ممالك النوبة في العصر المملوكي، اضمحلالها وسقوطها، وأثره في انتشار الإسلام في السودان وادي النيل ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٢٦٢.

(٥) عوض عبد الهادي: الشايقية، تاريخهم وثقافتهم حتى الفتح التركي، مجلة الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم ١٩٧١م، ع ٢، ص ٧.



ملك استمر على مدى ثلاثة قرون (١)، أما لفظ آب الذي ينتهي به الاسم فهو مأخوذ من البيجاوية ومعناه عائلة أو قبيلة، ويدعى "العبدلاب" في النسب إلى بنى أمية (٢).

البيئة العلمية المصرية في العصر الفاطمي الأول:

اهتم خلفاء الفاطميين منذ أن استقر سلطانهم في مصر بالعمل علي نشر الثقافة العلمية والأدبية، وشهدت الحركة العلمية منذ أن قدم الخليفة المعز لدين الله إلى القاهرة حراكًا كبيرًا وذلك بفتح أبواب قصره للعلماء والفقهاء وطلاب العلم وفتح أمامهم أبواب مكتبة القصر الزاخرة بثتى أنواع الكتب في مختلف العلوم والفنون (٣). وحذا بقية الخلفاء الفاطميين من بعده حذوه، فصاروا يجلسون للفقهاء والعلماء والأدباء في قصورهم ويتبادلون معهم الرأى، وكانوا يتناظرون ويتناقشون في حضرتهم. وكانت هذه المجالس تساوى في قيمتها الدروس العديدة التى كانت تلقى بدار الحكمة والجامع الأزهر. ولقد نافس علماء الشيعة علماء السنة فى تأييد ونشر المذهب الإسماعيلى فى البلاد. وكان للداعى أبى حنيفة النعمان المغربى (٤) دور كبير فى ذلك ولأبنائه من بعده الذين تولوا مناصب القضاء وكانوا من كبار رجال الأدب، وكان أبو حنيفة النعمان سنيًا على المذهب المالكي - فى بادئ أمره - المذهب الشائع فى بلاد المغرب، ولكنه حين قدم إلى مصر هو وأبناؤه مع المعز لدين الله، تحول النعمان إلى المذهب الإسماعيلى وصار من كبار دعاة. وقد ألف النعمان فى الفقه الإسماعيلى عدة مؤلفات، منها كتاب "دعائم الإسلام فى نكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام"، ولقد صار هذا

(١) الأرباب الحسن بن شور: سيرة ملوك العبدلاب، مخطوطة بدار الوثائق القومية بالخرطوم، رقم ٢٣٢/٢٠/١؛ كرم الصلوي: ممالك النوبة، ص ١٨٢.

(٢) انظر الشكل رقم (٢)؛ - إن الحاق مقطع آب فى آخر الاسم يرجع إلي مؤثرات لغوية لعلها حامية قديمة وأثرها واضح فى إقليم النيل الابيض والأزرق والنيل الأعظم والجهات المجاورة للنهر، ويمتد هذا التأثير شرقاً إلي البحر الاحمر. (محمد عوض محمد: السودان الشمالى، ص ٢٣٤).

(٣) ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج ١، ص ٤٢٦.

(٤) القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور المغربى، وكان ملازمًا للمعز، وانتقل إلى القاهرة فى رجب سنة ثلاث وستين وثلاث مائة، ومات سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٢٩٢٤).



الكتاب مصدراً أساسياً ومرجعاً رئيسياً لدعاة الإسماعيلية في أحكامهم (١). وقد نهج الوزير يعقوب بن كلس على نهجه في تأليفه كتابه "مصنف الوزير" (٢).

وعلى الرغم من محاولات الفاطميين نشر المذهب الشيعي إلا أنه لم يكن هناك ضغوط على المصريين وغيرهم في التحول للمذهب الشيعي في بادئ الأمر، ولكن سرعان ما لبثت تلك الضغوط أن بدأت مع نهاية عهد العزيز بالله وبداية عهد الحاكم بأمر الله. فقد ذكر المقدسي الذي زار مصر في عهد العزيز بالله أن مذهب الإمام مالك كان ما زال له الغلبة في مصر وأكثر فقهاءها مالكيون (٣)، ومع ذلك لم يكن للفكر الشيعي صدها بين المصريين الذين استمروا على ولائهم لمذهبهم السني.

وفي الوقت نفسه لا يمكن أن ننكر وجود التشيع في مصر، فقد ذكر المقرئ أن الوجود الشيعي في مصر بدأ في الظهور بوضوح قبل الفاطميين بنحو مائة عام، فقد خرج بالصعيد رجل من العلويين يدعي بُعا الأكبر وهو أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن طباطبا بن علي وكان ذلك في إمرة أرجون التركي فحاربه أرجون إلي أن مات، ثم خرج بغا الأصغر وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين الإسكندرية وبرقة سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م أيام أحمد بن طولون، وسار برجاله إلي الصعيد فحورب وقتل وجيء برأسه إلي الفسطاط (٤).

وكان نظام الحلقات الدراسية وقت إنشاء الجامع الأزهر معروفاً في مصر، فقد أخذ به في جامعي عمرو وأحمد بن طولون، وكانت الحلقات الدينية واللغوية والأدبية التي تعقد في جامع عمرو دورية ومنتظمة تعقد كل يوم تقريباً، وكان أهمها تلك التي تعقد في عصر يوم الجمعة، حيث يهرع إليها جموع غفيرة من رجال الفقه والتفسير والحديث (٥).

ومع ذلك ظل المذهب السني محتقناً بقوته رغم تحول البعض إلي المذهب الشيعي لتحقيق أغراض أو مصالح معينة، لذلك رأى الفاطميون عدم ترهيب المصريين أو إجبارهم على اعتناق

-
- (١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣٦٣.
 - (٢) يعقوب بن كلس كان يهودياً، جاء إلي مصر ٣٣٤هـ/٩٤٥م، في عهد كفور الاخشيد، وبعد موته سافر الي المغرب واتصل بالمعز الدين الله، وعاد إلي مصر سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م (المقرئ ي: اتغاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٠٤).
 - (٣) المقدسي (شمس البين أبو عبد الله، ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م): أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ليدن ٩٧٦م، ص ٢٠٢.
 - (٤) المقرئ ي: الخطط، ج ٢، ص ٣٣٩.
 - (٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٠٥؛ - عبد العزيز محمد الشناوي: الأزهر جامعا وجامعة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٣م، ج ١، ص ٤٩.



مذهبهم، وآثروا إنشاء حاضرة جديدة لهم - القاهرة - تكون مقرّاً لأنصارهم ودعاة مذهبهم، وأنشأوا الجامع الأزهر لنشر الدعوة لهم (١).

(١) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية، ص ٨٠.



المساجد قبل العصر الفاطمي الأول:

وكان للمساجد الجامعة في مصر قبل العصر الفاطمي الأول أثر كبير في النهوض بالحياة الثقافية والأدبية، فقد كانت بمثابة معاهد علمية تقوم بدور مهم وحيوي في نشر العلم والثقافة في مصر، وكان الناس يتحلقون حو العلماء ينهلون من علمهم. فلم تكن المساجد مكاناً لأداء الشعائر الدينية فحسب إنما مارست دوراً مهماً في الحياة الفكرية (١). وهذه المساجد: هي جامع عمرو، جامع العسكر، جامع ابن طولون .

أولاً: جامع عمرو بن العاص:

بنى عمرو بن العاص مسجده الجامع في مدينة الفسطاط (٢)، وقد أطلق عليه أسماء عديدة مثل: الجامع العتيق، وتاج الجوامع، وجامع مصر. وكان جامع عمرو هو أول مسجد جامع في مصر الإسلامية، وكان إتشاؤه رمزاً لسيادة الإسلام الروحية في مصر (٣).

وقد نال هذا المسجد اهتمام ولاية مصر، فزادوا في مساحته وعنوا بعمارته وبنائه، وبالغ الأمراء الإخشيديون في العناية به، فنقشوا الكثير من أعمدته، وطوقت بأطواق الفضة (٤)، وكانت حلقاته العلمية في زمنهم أشهر مجالس العلم والتعليم في البلاد، حتى بلغ عددها سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م، ثلاثة وثلاثين حلقة، منها خمس عشرة حلقة للشافعية، ومثلها للمالكية، وثلاث حلقات للحنفية (٥).

- (١) محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، دار الفكر، القاهرة ١٩٩٠م، ص ٤٢ - ٤٣
- (٢) أنشأ عمرو بن العاص مدينة الفسطاط في الفضاء الرحيب الفسيح الذي عسكر فيه الجيش الإسلامي عند حصاره حصن بابلون، وكان هذا الفضاء يقع بين النيل وجبل المقطم في منطقة خالية من البناء فيما عدا حصن بابلون، فكانت الفسطاط أول عاصمة لمصر الإسلامية، وكان إتشاؤها رمزاً لمجداً وإعلاماً عملياً بأن مصر قد غدت جزءاً من الدولة الإسلامية، وكانت الفسطاط في أول الأمر مدينة ولا يسكنها غير العرب. (المقريزي: الخطط، ج ١، ص ١٩٩).
- (٣) ابن دقماق: الانتصار، ص ٥٩.
- (٤) ابن دقماق: الانتصار، ص ٦٧ - المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٢٤٩ - سعد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٧٦م، ج ١، ص ٦٦.
- (٥) سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٠م، ص ٣٠٦ - عبد الغنى محمود عبد العاطي: التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٥م، ص ٢١١ - علي سالم النباهين: نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨١م، ص ٢٤٠ - ويروى المقريزي "أنه كانت تعقد بجامع عمرو بن العاص في النصف الأول من القرن الثامن الهجري أكثر من أربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تترج منه" وأنه كان يضم سبع زوايا لتدريس الفقه وعمل المواعيد، وقراءة القرآن. (المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٢٥٥ - ٢٥٦).



ولم تتقطع في جامع عمرو حلقات العلم والدراسة على المذهب السني في مصر الفاطمية الشيعية، ولم تضعف العناية به من قبلهم، على الرغم من أن الجامع الأزهر كان هو مسجد الدولة الرسمي، بل قام الخلفاء الفاطميون بإجراء تعديلات على المسجد، فزادوا فيه وجددوه، وزودوه بالمصاحف (١).

ثانياً: جامع العسكر

شيد القائد العباسي صالح بن علي مدينة العسكر لتكون عاصمة جديدة لمصر، ومقرّاً للولاية العباسيين بعد إيفاع الهزيمة بالأمويين سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م، وكانت مدينة العسكر ثاني عواصم مصر الإسلامية (٢).

وقد بنى صالح بن علي وسط العاصمة الجديدة دار الإمارة وتكنات الجنود، وفي سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م، وأسس مسجدها الجامع، وجعل بين الجامع ودار الإمارة باباً يدخل منه الأمير إلى مقصورة الجامع، وكان هذا المسجد ثاني المساجد الجامعة في مصر بعد جامع عمرو (٣).

وقد جدد جامع العسكر في عهد والي مصر عبد الله بن طاهر بن الحسين عام ٢١٢هـ/٨٢٧م، وبقي عامراً تقام فيه الصلاة إلى ما بعد سنة ٥٠٠هـ/١٠٦م، ثم أهمل فاندثر بسبب تخريب مدينة العسكر في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله على أثر الشدة العظمى، إلى حد أن هذا الخليفة أمر ببناء سور على طول الطريق بين قصر القاهرة الفاطمية والفسطاط، حتى لا يستاء من منظر هذه الأماكن المتهمة إذا خرج ممتطياً جواده، وأصبحت العسكر أطلالاً كما لو كانت مَحَجَّرًا يزود الناس بمواد البناء (٤).

(١) يقول المسبحي في تاريخه في حوادث سنة ٤٠٤ هـ أي في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله: "إنه أنزل من القصر الى الجامع العتيق ألف ومائتين وثمانية وتسعين مصحفاً، ما بين ختمات وربعات، فيها ما هو مكتوب كله بالذهب وتمكن الناس من القراءة فيها، كما أرسل إلى الجامع نجفة من الفضة تبلغ قيمتها مائة ألف درهم فضة". (المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٢٥٠).

(٢) أحمد ممدوح حمدي: عواصمنا قبل القاهرة، الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، دار الكتب، القاهرة ١٩٦٩م، ص ١٩٩.

(٣) المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٨٩.

(٤) أحمد ممدوح حمدي: عواصمنا قبل القاهرة، ص ٢٠١.



ثالثاً : جامع أحمد بن طولون

لما قامت الدولة الطولونية سنة ٢٥٤هـ / ٨٦٨م بنى أحمد بن طولون عاصمة جديدة له بدلاً من مدينة العسكر التي كانت مقرّاً للولاة العباسيين، وخصص فيها لكل طائفة من كبار رجال الدولة والقادة العسكريين وأرباب الحرف والصناعات منطقة خاصة بأفرادها سميت "قطيعة"، فسميت المدينة كلها القطائع (١).

وتعتبر مدينة القطائع ثلاثة العواصم الإسلامية التي أنشئت في مصر، وأسس أحمد بن طولون بها مسجدها الجامع الذي عرف باسمه، وهو ثالث المساجد الجامعة في مصر (٢).

وقد انتهى أحمد بن طولون من بنائه سنة ٢٦٥هـ / ٨٧٨م (٣). وبدأت فيه حركة علمية زاهرة. ويذكر المؤرخون أن الربيع بن سليمان المرادي (٤) الفقيه المعروف تلميذ الإمام الشافعي كان يلقي به دروسه، وأن أحمد ابن طولون أعطاه في أول درس ألقاه في جامع كيساناً به ألف دينار (٥).

(1) Zaky Mohammed Hassan. Les Tulunides, Étude de l'Égypte Musulmane à la fin du IXe siècle, Paris 1933, pp. 48, 292 et 362.

(٢) كان إنشاء مدينة القطائع وجامع ابن طولون إعلماً وإشعاراً بالدولة الجديدة التي ظلت تمارس حكم مصر وراثياً تحت السيادة الإسمية للدولة العباسية زهاء ثمان وثلاثين سنة ٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨ - ٩٠٥م. (ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٤).

(٣) يعتبر جامع ابن طولون الأثر الوحيد الذي حمل اسم ابن طولون على مر العصور حتى اليوم، وهو في طليعة أجل الآثار في مصر، ويعتبر علماً ظاهراً في تاريخ العمارة الإسلامية، بجانب كونه مركزاً مشهوراً للفنون ونخبة لها في هذه الحقبة، وذلك بما حفل به من نقوش وزخارف كانت معيلاً لدارس الفنون عند الطولونيين، بجانب أنه جامعة علمية حوت علومًا شتى تم تدريسها لطلاب العلم والمعرفة. وقد أوقف ابن طولون على جامعته أوقافاً كثيرة، مثلما أوقف على قباطره، ومارستانه. (السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٤٩ - عبد الرحمن زكي: القاهرة، منارة الحضارة الإسلامية، القاهرة ٩٧٩م، ص ١٨ - أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥م، ص ١٠٤ - سعد ماهر: مساجد مصر، ج ٢، ص ١٤١ - شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٤٩).

(٤) هو صاحب الشافعي وراوي كنيته، روى عنه كثير من المحدثين مثل أبي داود والنسائي وابن ماجه، توفي سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م. (السبكي) تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م). طبقت الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٢م، ج ٢، ص ١٣٢ - الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تنكرة الحفاظ وضع الحواشي زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، القاهرة ٢٠٠٧م، ج ٢، ص ١٤٨.

(٥) سيده اسماعيل كاشف: أحمد بن طولون، المؤسسة المصرية للعلمة للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٥م، ص ٢٣٣.



وكان الجامع الطولوني منذ نشأته مركزاً من مراكز العلم، ومعهداً من معاهد الدراسة، وتبعت فيه دروس العلم وحلقاته، فهناك حلقات يدرس فيها الحديث الشريف، وحلقات يدرس فيها التفسير، وحلقات للفقهاء، وحلقات للوعظ والإرشاد، وحلقات للطب وحلقات للفلك. وقال الإمام السيوطي: "كان هذا الجامع شهيراً بدروس التفسير والحديث والفقهاء والقراءات والطب والميقات" (١).

ولم يقتصر دور الجامع الطولوني على نشر العلوم الدينية والعربية فحسب، بل شمل دوره نشر علم الطب عن طريق عقد المجالس العلمية الطبية، وحلقات العلم وجلس العلماء الأجلاء لنشر علم الطب، وقد رتب علم الدين سنجر الزيني في فترة من الفترات بجامع ابن طولون دروساً في الطب (٢).

المساجد في العصر الفاطمي الأول:

انتبه الفاطميون فرصة انجذاب المصريين للمساجد فأكثرها من بنائها لنشر دعوتهم الدينية، واستهلوها ببناء الجامع الأزهر الذي كان مركزاً ثقافياً مشعاً ليس على مصر فقط، وإنما على العالم الإسلامي بأسره. وقد أراد الفاطميون أن يكون الأزهر بمثابة معهد لفئة معينة من الطلاب يتوسم فيهم المقدر على تلقي المذهب الشيعي علي يد أساتذة شيعيين ليتخرجوا بدورهم دعاة ينشرون هذا المذهب بين المصريين (٣).

كما بنوا جامع الحاكم خارج باب الفتوح وجامع راشدة وجامع المقس، والكثير من المساجد التي ملأوها بالمصاحف وأجلسوا فيها الفقهاء والعلماء ودعاة المذهب الشيعي، فكانت بمثابة مدارس لتلقي الدعوة الشيعية (٤). كما أنشأ الحاكم بأمر الله "دار الحكمة"، وقرر أن يكون التعليم فيها بالمجان؛ أسوة بالجامع الأزهر، وحاضر فيها فقهاء المذهبين السني والشيعي في بادئ الأمر (٥)، وكانت الحلقات التعليمية تعقد في كل أنحاء مصر: في القاهرة والفسطاط والإسكندرية وبتيس وأسوان وقوص و فقط، مما أثرى الحياة العلمية في مصر (٦).

- (١) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٤٩.
- (٢) ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي، ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م، ج ٥، ص ١٩٧ - ١٩٨.
- (٣) محمد عبد العزيز الشنولي: الأزهر جامعاً وجامعة، ص ٩١.
- (٤) محمد كامل حسين: في أنب مصر الفاطمية، ص ٤٥.
- (٥) محمد عبد العزيز الشنولي: الأزهر جامعاً وجامعة، ص ٧٠.
- (٦) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ص ٤٥؛



أولاً : الجامع الأزهر:

أحدث الجامع الأزهر نهضة علمية كبيرة في مصر في عصر الدولة الفاطمية، خاصة النهضة التي كانت تتصل اتصالاً مباشراً بالدعوة الإسماعيلية، وفسفتها. ففي عهد الخليفة الفاطمي المعز الدين الله نبغ الكثير من الدعاة والشعراء والأدباء، وكان يعقد المجالس العلمية، فيحضرها كبار رجال دولته، ومشايخها وعلمائها وأدباؤها. كما كان يستحث هم العلماء للترود من العلم، ويلوم من يتقاعد منهم عن ذلك، وكان يحلم بأن يحكم شعباً مثقفاً، لذلك كان يشجع العلماء ويقربهم إليه ويدبر عليهم الأموال، كما كان يشرف على مؤلفاتهم وبحوثهم (١).

وكانت الدراسة زمن الفاطميين تتم بنظام الحلقات (٢)، حيث كان يجلس الشيخ علي حاشيته بجوار أحد الأعمدة التي تخص مذهبه، وكانت أعمدة الأزهر مقسمة علي المذاهب الأربعة وكان الطلبة يجلسون حول أستاذهم في حلقة بترتيب معين. وكان الشيخ يقدم للدرس بالبسملة والصلاة على النبي ثم يملئ درسه ويشرح للطلبة من حوله فقراته ويفسرهما لهم. ومن هذا الإملاء كتبت المخطوطات التي تداولت ونسخت وطبعت حديثاً، وبعد أن ينتهي من درسه كان يختمه بالفاتحة (٣).

وكانت بداية التدريس بالجامع الأزهر في أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي، حيث انعقدت أول حلقة دراسية في الجامع الأزهر في صفر سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م (٤)، وقام بها قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان (٥)، فقرأ علي الحاضرين الفقه الشيعي من "كتاب الاختصار" الذي يعتبر مختصراً للفقه الفاطمي (٦).

(١) عارف تلمر: المعز لدين الله الفاطمي، ص ١٩٥ - ١٩٩.

(٢) كان نظام الحلقات وحرية البحث والدراسة والتمحيص والموازنة هي الطريقة التي سبق بها الأزهر الشريف معظم جامعات الدنيا في هذا المنهج في طريقة التدريس، وصار هذا الأسلوب يستخدمه رجال الأزهر وشيوخه إلى عهد قريب. (محمد البهي: الأزهر تاريخه وتطوره، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٦٤م، ص ٢٣٩).

(٣) أحمد محمد عوف: الأزهر في ألف عام، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٧١.

(٤) كان نظام الحلقة هو النظام الذي يناسب المساجد حيث كان المسجد يعود إلى حالته المعتادة بمجرد قيام الأستاذ والطلبة وانصرافهم فؤدى الفروض والصلوات بلا عائق من مقاعد وأدراج وغيرها مما لا يناسبها إلا مكان خاص كالمعاهد والكليات في العصر الحديث. (مجاهد توفيق الجندي: صفحات مطولة من تاريخ الأزهر، نظام الدراسة بالجامع الأزهر في عصر السيوطي، القاهرة دت، ص ٢٩).

(٥) المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٤٦؛ - مجاهد توفيق الجندي: صفحات مطولة من تاريخ الأزهر، ص ٢٦.

(٦) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٣٦٣.



وكانت أهم المراجع في العصر الفاطمي هي: كتاب "الاختصار في الفقه" للنعمان القيرواني قاضي المعز لدين الله الفاطمي. وكتاب "اختلاف أصول المذاهب"، وكتاب "اختلاف الفقهاء"، وكتاب "دعائم الإسلام". وكانت هذه الكتب تعتبر إبان العصر الفاطمي، درر الفقه. إلي جانب "الرسالة الوزيرية" التي وضعها ابن كلّس، ومختصرها المسمى "مختصر الوزير"، إضافة إلى وجود بعض الكتب في الرياضيات والفلك والتاريخ، تدرس ضمن الدراسات في الأزهر إبان هذه الفترة (١).

وبعد افتتاح الجامع الأزهر للصلاة، اجتمع به حشد كبير من العلماء والطلاب ليستمعوا إلى درس يلقه أبو الحسن علي بن محمد بن النعمان القيرواني "قاضي القضاة" (٢)، وهو أول من لقب بهذا اللقب الرفيع في مصر (٣)، في شرح وعرض سريع لمبادئ الفقه الشيعي، ثم أملى على الحاضرين فقرات من كتاب يسمى "الاختصار" (٤) أو "الإيضاح" (٥)، وهو مختصر لكتاب في الفقه

- (١) المقرئزي: الخطط، ج ٦، ص ٣٦٣ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٣٠ - أحمد محمد عوف: الأزهر في ألف عام، ص ٦٨ - ٦٩.
- (٢) هو قاض القضاة أبو الحسن علي بن النعمان القيرواني، قرأ كتاب الاختصار، تأليف والده أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور القيرواني المعروف بابن جبون. (إدريس عماد الدين) (الداعي الفاطمي إدريس عماد الدين القرشي): عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزي، بيروت ١٩٦٨م، ص ١٨٥؛ - الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري، ت ٣٥٠هـ/٩٦١م): كتاب الولاية والقضاة، تحقيق رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م، ص ٥٨٥ - مجاهد توفيق الجندي: صفحات مطولة من تاريخ الأزهر، ص ٢٦.
- (٣) كانت وظيفة قاضي القضاة وداعي الدعاة تسندان لرجل واحد في كثير من الأحيان، وكان يساعده في نشر التعاليم الفاطمية اثنا عشر نقيباً، ينوبون عنه في البلاد، وكانت المحاضرات تعرض قبل إلقائها على الخليفة الفاطمي المؤيد الشيرازي. (ابن داود الشيرازي) (هبة الله بن أبي عمران موسى بن داود الشيرازي، ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م): السيرة المؤيدية، تحقيق محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٩م، ص ١٢١.
- (٤) المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٣٤١ - محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر في ألف عام، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٨م، ص ٣٦.
- (٥) المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٣٤١ - حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه بوجه خاص، وزاره المعارف العمومية، القاهرة ١٩٣٢م، ص ٤٧٥ - ٤٧٧.



الفقه الشيعي الإسماعيلي كان قد وضعه من قبل والده المعروف بابن حيون (١)، وكانت هذه الحلقة أولى الحلقات الدراسية في الجامع الأزهر (٢).

واستمرت الحلقات الدراسية وتطورت في عهد الخليفة العزيز بالله، حيث جلس في الجامع الأزهر في شهر رمضان سنة ٣٦٩هـ/٩٨٠م يعقوب بن كلس (٣)، وقرأ على الناس كتاباً ألفه في الفقه الشيعي على مذهب الإسماعيلية، يسمى "الرسالة الوزيرية"، وقد حوى هذا الكتاب معلومات سمعها من الخلفيتين المعز لدين الله والعزيز بالله (٤).

ومثلت هذه الحلقات الدراسية أول مجالس جامعية حقيقية عقدت في هذا الجامع، وكانت تمتاز عن مجالس بني النعمان بتحررها من القيود الرسمية واتجاهها نحو الغايات العلمية قبل اتجاهها نحو المثل المذهبية (٥).

بعد هذه الحلقات استأنف الوزير يعقوب بن كلس الخليفة الفاطمي العزيز بالله في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس (١)، ورتب لهم الخليفة أرزاقاً وجرايات شهرية، وأنشأ لهم داراً للسكني بجوار الأزهر.

(١) ابن حيون هو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي، وقد توفي سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م، وكان من أقطاب علماء الشيعة، تولى القضاء بالمغرب على عهد المعز وجاء معه إلى مصر، ولكنه لم يتول قضاءها. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٤١٥).

(٢) أقيمت الحلقة في شهر صفر سنة ٣٦٥هـ (وكان هذا الشهر يقع في الفترة من ١٠ أكتوبر إلى ٧ نوفمبر سنة ٩٧٥م) أي في أواخر حكم الخليفة المعز لدين الله الذي جاز إلى ربه بعد هذه الحلقة بشهر وبعض الشهر (الثالث من شهر ربيع الآخر). (المقريزي: الخطط، ج ٤، ص ١٥٦).

(٣) يعقوب بن كلس هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف الملقب بابن كلس، وكان يشغل وقتذاك منصب وزير الخليفة العزيز بالله، كان يهودياً، جاء إلى مصر سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، واتصل بكافور بعد أن أصبحت السلطة في يده، فأحله كافور من نفسه محل العطف والرعاية، وأسلم في شهر شعبان سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م، و بعد وفاة كافور، سار خفية إلى بلاد المغرب حيث اتصل بالخليفة الفاطمي المعز لدين الله و عاد إلى مصر سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، مع المعز. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣٩١-٣٩٧؛ - المقريزي: اتعاظ الحنفاء، ج ٢، ص ٢٠٤- على إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٣م، ص ٢٦).

(٤) المقريزي: الخطط، ج ٦، ص ٣٦٣؛ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٣٠.

(٥) المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٣٤١؛ - محمد عبد الله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٨م، ص ١٩٥٨، ص ٤٣.



كما أُجري عليهم أيضاً ابن كلثوم رزقاً من ماله الخاص (٢). وينكر المقرئزي أنها أول مرة يقام فيها درس في مصر بمعلوم جارٍ من قبل السلطان (٣).

وبدأت الحياة العلمية في الجامع الأزهر بنحو خمسة وثلاثين طالباً، بتشجيع كبير من الخليفة الفاطمي العزيز بالله ووزيره يعقوب بن كلثوم، وينكر المقرئزي "أن العزيز بالله خلع عليهم في يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات". ولم يكن الأزهر في تلك العهد مقصوراً على الرجال فحسب، بل كان للمرأة فيه نصيب، فكان يفرن فيه بمجلس خاص (٤).

وقد أقام الخليفة العزيز بالله عدداً كبيراً من المنشآت، منها "الجامع الحاكمي" سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م، الذي أتم ابنه الحاكم بأمر الله بناءه فنسب إليه (٥).

ويعتبر الخليفة الفاطمي العزيز بالله هو أول من عمل مائدة إفطار في قصره في شهر رمضان، يتناول الإفطار عليها أهل الجامع العتيق، وأيضاً أقام طعاماً في الجامع الأزهر لمن يحضره في شهور رجب وشعبان ورمضان. وقد نبغ عدد من العلماء في عصره، ففي مجال الطب ظهر نبوغ على بن رضوان الطبيب والفيلسوف والرياضي الكبير، ونبغ في التاريخ الكاتب العظيم الحسن بن زولاق، الذي تعد كتبه أهم مصادر دولة الفاطميين (٦).

ثانياً: جامع الحاكم بأمر الله:

يرجع تاريخ إنشاء الجامع إلى أواخر القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، فقد وُضع حجر الأساس له عام ٣٨٠هـ / ٩٩٠م حينما أمر الخليفة الفاطمي الخامس العزيز بالله ببناء مسجد كبير

(١) وصل عدد هؤلاء الفقهاء نحو سبعة وثلاثين فقيهاً يرأسهم الفقيه "أبو يعقوب" قاضي الخندق. (الفاشندي: صحيح الأعشى، ج ٣، ص ٣٦٣ - المقرئزي: الخطط ج ٢، ص ٣٤١).

(٢) الفاشندي: صحيح الأعشى، ج ٣ ص ٣٦٧ - المقرئزي: الخطط ج ٣، ص ٩ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٤٤٠ - ٤٤١ - محمد عبد الله ماضي: الأزهر في ١٢ عاماً، ص ١٣.

(٣) المقرئزي: الخطط ج ٢، ص ٣٦٣ - محمد عبد المنعم خلفي: الأزهر في ألف عام، ص ٣٨.

(٤) المقرئزي: الخطط ج ٢، ص ٢٢٦.

(٥) عطية القوصي: تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، ص ٧٢.

(٦) عطية القوصي: نفسه، ص ٧٢.



خارج سور القاهرة، نظراً لعدم استطاعة الجامع الأزهر استيعاب الكم الهائل من المصلين، إلى جانب عدم قدرته على إقامة مراسم الخلفاء.

ولقد استمر العمل في بناء الجامع حوالي أربعة عشر عاماً، وأثناء فترة بنائه توفي الخليفة العزيز بالله في أوائل عام ٣٨١هـ/٩٩١م فتوقفت أعمال البناء، حتى أمر الخليفة الحاكم بأمر الله ابن العزيز بتكملة البناء. وتم الانتهاء من بناء الجامع عام ٣٩٣هـ/١٠٠٢م، لكن بعد ذلك قرر الخليفة الحاكم بناء قاعدتي المنئنة للتدعيم وزيادة جمالية وفخامة، لينتهي تماماً عام ٤٠٢هـ/١٠١٢م. وصليت فيه أول جمعة في الخامس من رمضان سنة ٤٠٣هـ/ ٢٠ مارس ١٠١٣م، ولهذا سُمي جامع الحاكم بأمر الله؛ نسبة إليه، وسمح لعلماء الأزهر بالتدريس والالتحاق به (١).

ثالثاً : جامعي راشدة والمقس :

أسس الحاكم بأمر الله جامع راشدة سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، وقد شهد أيضاً نشاطاً كبيراً بين أرواقته في النواحي العلمية، وعقدت فيه حلقات العلم ووفد إليه العلماء من الأقطار المختلفة، مثل الفقيه أحمد بن عبد الله بن هشام أحد علماء التفسير والذي وفد من المغرب، وأقام فيه ولم يكن يقبل طلابه شيئاً نظير تلقيه العلم لهم، بل كان ينفوت من نسخة لكتب الألب داخل الجامع (٢) . كما أسس جامع المقس على شاطئ النيل بالمقس، ميناء القاهرة النهري في ذلك الحين، ولكن ليس لهما أثر اليوم (٣).

رابعاً : دار الحكمة

تعتبر دار الحكمة أو دار العلم، من أهم المراكز الثقافية بمصر في العصر الفاطمي الأول، أسسها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٤)، وافتتحها رسمياً يوم السبت العاشر من جمادى الآخرة

(١) المقرئزي: خطط ج ٢، ص ٢٧٧ - ٢٨٢.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٥٤.

(٣) شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٨٤.

(٤) الحاكم بأمر الله ٣٨٦ - ٤١١هـ/٩٩٦ - ١٠٢١م: هو أبو علي منصور الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله بن المعز بالله بالله معد، المغربي الأصل، المصري المولد والدار والمنشأ، الثالث من خلفاء مصر الفاطميين والسادس منهم ممن ولى من أجداده بالمغرب، ولد بالقاهرة يوم الخميس ٢٦ ربيع الأول سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م، وولاه أبوه عهد الخلافة في شعبان سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م، وبويع بالخلافة يوم مات أبوه يوم الثلاثاء ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، فولياها وله إحدى عشرة سنة ونصف، واختير له لقب " الحاكم بأمر الله". (المقرئزي: اتعاض الحنفاء، ج ٢، ص ٣؛ عطية القوصي: تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، ص ٧٢).



سنة ٣٩٦هـ/ أبريل ١٠٠٥م. وقد أطلق لفظ "الحكمة" على هذه الدار رمزاً إلى الدعوة الشيعية التي كانت تسمى مجالسها "مجالس الحكمة". وقد زود الخليفة الحاكم بأمر الله هذه الدار بمكتبة عرفت باسم "دار العلم"، احتوت على كثير من الكتب في سائر العلوم والفنون، وقد سمح لسائر الناس من الطبقات كافة بالتردد عليها والاستفادة من محتوياتها، وفي ذلك أورد المقرئ ما نصه: "وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب، ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك، وأباح ذلك لسائر الناس على طبقاتهم، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم، وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر" (١).

واجتذبت دار الحكمة الكثيرين من محبي المناظرة والبحث الحر في المذاهب على اختلافها، وظلت مدة طويلة تخرج الأطباء والفلاسفة والفقهاء وعلماء اللغة (٢).

وقد أمد الحاكم بأمر الله هذه الدار بمكتبة عرفت باسم "دار العلم" حوت الكثير من الكتب في سائر العلوم والآداب، سواء في الفقه أو النحو أو اللغة أو الكيمياء أو الطب، وسمح لعامة الناس بالتردد عليها والنهل من كتبها (٣). ووفر بها كل وسائل الرعاية للدارسين وأطلق لهم الأرزاق ووفر للدارسين الورق والحبر والأقلام (٤)، وزينها لهم بالفرش والستور على الأبواب والممرات، وعين عليها قائمين بخدمتها وأباح لعامة الناس بارتياحها وقراءة الكتب ونسخها (٥).

- (١) محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية، ص ١٧٦.
- (٢) نعمات أحمد فؤاد: شخصية مصر، القاهرة، عالم الكتب ١٩٥٨م، ص ١٢٣.
- (٣) ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلى المغرب، ص ٦٠ - النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٨، ص ١٧٩ - الذهبي: العبر في خبر من غير، ج ٢، ص ١٩٦ - المقرئ: الخطط ج ١، ص ٤٥٧-٤٥٨؛ على إبراهيم حسن: عظمة الفاطميين، ص ٢٣٨.
- (٤) الأنطاكي (يحيى بن سعيد الأنطاكي، ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م): تاريخ الأنطاكي المعروف بصللة تاريخ أوتيا، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٢٠٦-٢٠٧.
- (٥) الأنطاكي: تاريخه، ج ٢، ص ٢٦٢ - النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٨، ص ١٧٩ - المقرئ: الخطط ج ١، ص ٤٥٨ - على مبارك باشا: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م، ج ١، ص ٥٠ - مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩م، ص ٢٢ - سعد زغول عبد الحميد: الأثر المغربي والأندلسي في مجتمع الإسكندرية، مجموعة محاضرات عن مجتمع الإسكندرية أقيمت في ندوة علمية بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية بالتعاون مع الجمعية التاريخية، أبريل ١٩٧٣م، ص ٢٣٠.



ونكر المقرئ أن "الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك، وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها" (١).

ولقد اختلفت مناهج التعليم في دار الحكمة عن مناهج التعليم في المساجد الفاطمية المعاصرة، إذ كانت تغلب عليها الصبغة العلمية، بينما كانت تغلب على مناهج المساجد الصبغة الدينية، وكان بين أساتذة دار الحكمة كثير من أساتذة الحساب والمنطق والطب والتنجيم، من أمثال ابن يونس المنجم، وأبي علي الحسن بن الهيثم، وعلي بن رضوان (٢).

واستطاعت دار الحكمة بفضل هؤلاء الأساتذة، وما كان لها من مناهج متنوعة جمعت بين الدراسات العلمية والفقهية أن تجتنب كثيراً من أعلام المشرق، من أمثال الرحالة الفارسي ناصر خسرو، والداعي الحسن بن الصباح اللذين وفدا إلى مصر في عهد المستنصر بالله الفاطمي (٣).

وتمتعت المرأة في ظل الفاطميين بنصيب كبير في الناحية العلمية أو التعليمية، فرغم التقاليد التي فرضتها عليها ظروف المجتمع في تلك الفترة إلا أن ذلك لم يمنعها من مسابرة ركب التطور الحضاري الذي شهدته تلك الحقبة، والاهتمام بالنواحي العلمية والثقافية (٤). فكانت السيدة زينب بنت هاشم، ت ٤٤٥/هـ ١٠٥٨ م من ربات البر والإحسان، ولها بصمات كبيرة في هذا المجال، وكانت واعظة لها حلقات للدرس في الجوامع المختلفة، يتسابق إلى مجلسها الكثيرون من محبي العلم والمعرفة (٥).

(١) المقرئ: الخطط ج ١، ص ٤٥٨ - أحمد أحمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٢ م، ص ٨٣.

(٢) محمد جمال الدين سرور: مصر في عصر الفاطميين، ص ٣٣١.

(٣) محمد جمال الدين سرور: نفسه، ص ٣٣١.

(٤) يقول المقرئ إنه في العصر الفاطمي تغلبت امرأة من نساء العامة على الإعاقة وقهرت الظروف، ففي أحداث ٥٣٢ هـ / ١١٣٦ م "أحضرت من تنيس امرأة بغير ثنيين وفي موضع ثنيبها مثل الحلمتين، فصارت إلى مجلس الوزير رضوان وأخبرته أنها تصنع برجليها ما يعمل باليدين من رقم وخط وغير ذلك فجاء لها في المجلس بدواة فتناولت برجلها اليسرى الأقلام قلمًا قلمًا، ثم تناولت السكين برجليها وبرت قلمًا واستدعت ورقة وأمسكتها برجلها اليمنى وكتبت بالرجل اليسرى رقعة بأحسن خط تكتبه النساء، وحمدت الله في آخرها ونالتها الوزير فإذا فيها سؤال بأن يزداد في راتبها، فوقع لها خلف الرقعة بما تسأل وأعادها إلى بلدها". (المقرئ: اتعاض ج ٣، ص ١٦٧).

(٥) عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠٨ م ج ٢، ص ٢٢.



وكذلك كانت السيدة زينب بنت يحيى المتوَّج، من ربات البر والإحسان، حرص الكثيرون من أهل مصر على حضور مجالسها من أجل سماع الدروس الدينية وأخذ مشورتها والتبرُّك بها، فقد كانت فقيهة تجيد المشورة في المسائل الفقهية. كما عملت المرأة أيضاً بمجال الخط فكانت السيدة فاطمة بنت الحسن بن علي الأقرع كاتبة ذات خط بديع، وهي التي تولت كتابة كتاب الهدنة إلى ملك الروم من الديوان العزيزي (١).

نتائج الحركة العلمية المصرية في العصر الفاطمي الأول:

بفضل تعضيد الخلفاء الفاطميين وبعض وزرائهم ازدهرت الحركة العلمية والأدبية في مصر، وكان للبيئة العلمية التي شبَّ فيها الخليفة المعز لدين الله، أثرها في تنمية مداركه وسعة اطلاعه وتضلعه في العلوم الدينية حتى إنه كان يحاضر العلماء من النحاة والفقهاء وغيرهم. وقد فتح أبواب قصره للعلماء والطلاب، وأباح لهم جميعاً الاطلاع على الكتب المختلفة بمكتبة القصر، وحذا الخلفاء من بعده حذوه، فصاروا يعقدون المجالس العلمية والأدبية في قصورهم ويدعون إليها الفقهاء والعلماء والأدباء، فيتناظرون بحضرتهم، ولم تكن هذه المجالس نقل في قيمتها التعليمية عن الدروس التي تلقى بالجامع الأزهر أو جامع الحاكم بأمر الله أو جامع راشد أو دار الحكمة.

ونتج عن هذا التشجيع ظهور طائفة كبيرة من العلماء والكتاب في مصر، ونشطت الحركة الفكرية تبعاً لذلك. فاشتهر من المؤرخين أبو الحسن علي الشافعي المتوفى سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م، وقد اتصل بخدمة الخليفة العزيز، فولاه خزانة كتبه واتخذ من جلسائه وندمائه وله كتاب الديارات، أورد فيه أخبار طريفة عن أندية العراق والجزيرة والشام ومصر، وما قيل في كل منها من الأشعار (٢). والأمير المختار عز الملك، المعروف بالمسجي الذي ولد بمصر ٣٦٦هـ/٩٧٦م وتوفى سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م، وكان من جلساء الخليفة الحاكم بأمر الله وخاصته، وقد تولى في عهده بعض المناصب المهمة، وشغف بكتابة التاريخ، وألف فيه عدة كتب منها تاريخه الكبير المسمى "تاريخ

(١) أمينة أحمد امام الشوربجي: مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر العصر الفاطمي الأول ٣٥٨-٤٦٥ هـ/٩٦٨ -

١٠٧٢ م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس ١٩٨٧م، ص ٢٤٣، ٢٤٢.

(٢) أبو الحسين علي بن محمد الشافعي، توفى بمصر سنة تسعين وثلاثمائة. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص

٣١٩) - محمد جمال الدين سرور: مصر في عصر الفاطميين، ص ٣٣٤.



مصر"، ولا يوجد منه إلا الجزء الأربعون بمكتبة الإسكوريال بأسبانيا، وقد نقل عن هذا الكتاب كل من المقرئزي وأبي المحاسن بن تغرى بردى (١).

كما برز العالم الكبير أبو عبد الله القضاعى، الذي ولد بمصر في أواخر القرن الرابع الهجري، وتوفى بها سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م، وكان من أقطاب الحديث والفقهاء الشافعي، وقد ولى القضاء وغيره من مهام الدولة في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وأوفده هذا الخليفة سفيراً إلى تيودور إمبراطور الدولة البيزنطية سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، ليحاول عقد صلح بينها وبين مصر. وله عدة مصنفات في الفقه والتاريخ، منها "مناقب الإمام الشافعي وأخباره"، وكتاب في خطط مصر سماه "المختار في ذكر الخطط والآثار"، يتضمن تاريخ مصر والقاهرة حتى عصره، وكان هذا الكتاب عوناً للمقرئزي على كتابه "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" (٢).

كذلك نبغ أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم، وأصله من البصرة، ثم قدم إلى مصر بدعوة من الخليفة الحاكم بأمر الله، لما بلغه أن له نظرية مهمة في توزيع مياه النيل، وكان ابن الهيثم مصدر حركة فلسفية كبيرة، وخاصة في الطبيعيات والرياضيات، وقد ألف نحو مائتي كتاب من الرياضة والطبيعة والفلسفة، ولم يزل مكباً على التأليف حتى توفى سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م (٣).

وفي مجال الطب اعتنى الفاطميون عناية فائقة بالطب وأغدقوا على الأطباء الهبات والعطايا وقلدوهم المناصب العليا، مما ساعد على حيث الطلبة أو العلماء المشتغلين بالطب على التفوق في علمهم، وكان من أهم شروط الطبيب الناجح أن يكون ملماً بالعلوم الفلسفية واللغات الأجنبية خاصة السريانية واليونانية، وكان الطب إلى جانب كونه يدرس في العصر الفاطمي نظرياً كان يدرس عملياً

(١) الأمير الكبير عز الملك، ويلقب بالمختار، محمد بن عبيد الله ابن أحمد المسيحي الجندي، له كتاب التتجيم والإصابات في عشر مجلدات، وكتاب الديانات في اثني عشر مجلداً، وكتاب الشعر ثلاث مجلدات، مات في ربيع الآخر، سنة عشرين وأربعمئة، وله أربع وخمسون سنة. (الذهبي) (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء، مؤسسة رسالة، بيروت ٢٠٠١م، ج ١٧، ص ٣٢١٦؛ - محمد جمال الدين سرور: مصر في عصر الفاطميين، ص ٣٣٥.

(٢) الفقيه العلامة القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعى المصري، الشافعي، قاضي مصر، ومؤلف كتاب الشهاب مجرداً ومسنداً. (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٣٣٦٠؛ - محمد جمال الدين سرور: مصر في عصر الفاطميين، ص ٣٣٥.

(٣) أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم، ت ٣٥٤ - ٤٣٠هـ/٩٦٥ - ١٠٤٠م، سافر إلى ديار مصر وأقام بالقاهرة في الجامع الأزهر. (ابن أبي أصيبعة) (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ونقله وصححه امرؤ القس بن الطحان، ط ١، المطبعة الوهبية، ١٨٨٣م، ج ٢، ص ٩٠ - ٩٨؛ - محمد جمال الدين سرور: مصر في عصر الفاطميين، ص ٣٣٥.



في المارستانات التي كانت في مقام كليات الطب حالياً ويتخرج فيها الطبيب متخصصاً باطنياً أو جراحاً أو كحالا يعالج أمراض العيون (١).

وكان للدارسين في المارستان مطلق الحرية في إجراء التجارب المختلفة لمعرفة انساب الأساليب للعلاج وإذا نجحت تلك التجارب تدون في كتب خاصة للإطلاع عليها (٢).

وكان على الطبيب دراسة المؤلفات والكتب الطبية إلى جانب عقد المجالس الطبية، حيث كان الطبيب الكبير يجلس في القاعة المجهزة بخزائن الكتب الطبية ويأتي إلى تلامذته من الأطباء الدارسين يجلسون بين يديه فيجرب معهم المباحث الطبية والنظر في المراجع العلمية، كما كان يمر مع التلاميذ على المرضى (٣).

واشتهر من الأطباء والفلاسفة أبو الحسن علي بن رضوان، وأصبح بفضل جدّه واجتهاده رئيس الأطباء في البلاط الفاطمي. وتدل الكتب التي ألفها في الطب على سعة فكره واطلاعه، كما أن له كتباً في الفلسفة والمنطق، وغيرهما من علوم الحكمة. وكان ابن رضوان مجدداً في صناعته، فلم يعتمد في مؤلفاته على النقل والشرح من كتب من كان قبله من الأطباء، بل كانت له ناحية خصبة من التفكير والابتكار، وظل طيلة حياته في كفاح وعمل متصل إلى أن توفي نحو سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م في خلافة المستنصر بالله الفاطمي (٤).

ومن أشهر أطباء العامة الذين نبغوا في الطب في عهد الخليفة العزيز بالله طبيب يهودي مصري اسمه إبراهيم بن الزفان وأبو كثير بن الحسن بن إسحق، وكذلك أبو جعفر يوسف بن

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩١م، ج٣، ص ٤٠٠.

(٢) السيد طه أبو سديره: الحركة العلمية في العصر الفاطمي الأول ٣٥٨-٤٦٥هـ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط ١٩٨١م، ص ٢٣٢.

(٣) السيد طه أبو سديره: الحركة العلمية، ص ٢٣٣.

(٤) علي بن رضوان بن علي بن جعفر المصري، صاحب التصانيف، وله دار كبيرة بمصر، كان صبيّاً فقيراً، يتكسب بالتجرب، اشتغل في الطب، ففاق فيه، وأحكم الفلسفة ومذهب الأوائل وضلالهم، كان أبوه خبازاً، ولما تميز، ختم الحاكم بالطب، فصيره، رئيس الأطباء، صنف كتاباً في تحصيل الصناعة من الكتب، ورسالة في علاج داء الفيل، ورسالة في الفالج، ورسالة في بقاء النفس بعد الموت، مقالة في نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة. (الذهبي) (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ١٣٧٤هـ/١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء، مؤسسة رسالة، بيروت ٢٠٠١م، ج ١٧، ص ٣٧١٧).



حسداى (١). وأبو الحسن سهلان كان طبيبياً نصرانياً من أهل مصر، خدم الخلفاء المصريين، ارتفع جاهه في الأيام العزيزية، وتوفى أيام العزيز بالله يوم السبت خمس من ذى الحجة سنة ثمانين وثلثمائة، واخرج يوم الأحد بعد صلاة الظهر إلى كنيسة الروم بقصر الشمع (٢). والطبيب أعين بن أعين الذى اشتهر أيام الخليفة العزيز بالله، ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م، وله كتاب "كناش" وهو كتاب فى أمراض العين ومداواتها (٣).

وفى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله اشتهر الطبيب إسحق بن إبراهيم بن نسطاس، الذى أفاض فى صناعة الطب وكان فى خدمة الحاكم بأمر الله (٤)، والطبيب أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر، كان طبيبياً نصرانياً مشهوراً، له دراية وخبرة بصناعة الطب، وكان طبيب الحاكم بأمر الله ومن الخواص، وتوفى فى أيام الحاكم (٥).

ووفد إلى مصر أبو عبد الله التميمي المقدسى، وكان بارعاً فى الطب يتقن صناعة تركيب المعاجين والأدوية، وكان قد انتقل إلى مصر وأقام بها، وأدرك الدولة الفاطمية واتصل بالوزير يعقوب بن كلس وصنف له كتاباً فى عدة مجلدات سماه "مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء"، وكان يلتقى بأطباء مصر، ويناظرهم وأطباء المغرب القادمين صحبة المعز (٦).

وكتلك برز بمصر العديد من العلماء الذين اضطروا إلى امتحان مهن يدوية إلى جانب أنهم من العلماء، حتى يتقوتوا، ومنهم أبو العباس أحمد ابن محمد الديبلى الخياط المتوفى سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م، وكان فقيهاً وعالماً بالمذهب الشافعى، وكان يكسب ويتقوت من الخياطة، فكان يخيط قميصاً فى جمعه بدرهم ودانقين هما نفقة طعامه وكسوته حتى لا يحتاج لأحد (٧).

- (١) عارف تامر: العزيز بالله، بيروت ١٩٨٢م، ص ٨٢.
- (٢) أبو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان. (ابن أبى أصيبعة: عيون الانباء فى طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٨٩).
- (٣) كان طبيبياً متميزاً فى الديار المصرية، وله نكر جميل وحسن معالجة، توفى فى شهر ذى القعدة سنة خمس وثمانين وثلثمائة. (ابن أبى أصيبعة: عيون الانباء فى طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٨٧).
- (٤) ابو يعقوب اسحق بن ابراهيم بن نسطاس بن جريج. (ابن أبى أصيبعة: عيون الانباء فى طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٨٦).
- (٥) ابن أبى أصيبعة: عيون الانباء فى طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٨٩.
- (٦) هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن سعيد التميمي. (ابن أبى أصيبعة: عيون الانباء فى طبقات الأطباء، ج ٢، ص ٨٧-٨٩).
- (٧) آدم منتر: الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٣٤٨.



وبرز أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي، وكان أحد العلماء البارزين في العربية وتفسير القرآن الكريم، وله العديد من تلاميذه الذين نبغوا على يديه وقيل أنه من ريف بلبيس فجميع ريفها يسمونه "الحوف"، وقيل أنه من قرية يقال لها "سَبْرًا اللبخة" من أعمال الشرقية، وأنه جاء إلى مصر وقرأ وصنف في النحو وكذلك في إعراب القرآن كتابًا في عشر مجلدات وتوفي بها سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م (١).

ونبع في التاريخ الحسن بن إبراهيم بن زولاق وأبو الحسن علي الشابشتي، الذي قرّبه العزيز وولاه خزانة كتبه (٢).

واشتهر كذلك أبو الحسن طاهر بن أحمد المصري الجوهري المعروف بإبن بابشاذ، وقد غادر مصر إلى بغداد يتاجر في الجواهر فأخذ من علمائها ثم عاد إلى مصر واشتهر أمره فخدم في ديوان الإنشاء، وله تصانيف عديدة منها "المقدمة" وشرحها و"شرح الجمل"، وله تعليقات في النحو في خمسة عشر مجلدًا وقد سقط من سطح جامع عمرو بن العاص فمات لوقته سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م (٣).
وعبد الله بن برى بن عبد الجبار أبو محمد المصري النحو اللغوي، وكان ضليعًا في اللغة العربية، ووفد إليه الناس من سائر البلاد، وكان قد ولد بمصر سنة ٤٩٩هـ/١٠٠٥م وتوفي سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م (٤). ومحمود بن إسماعيل بن قلدوس أبو الفتح الهمياني كاتب الإنشاء بمصر، وكان يسمى "ذا البلاغتين" ومات سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م (٥).

وينكر ياقوت الحموي أن علي بن نصر الزنبيقي كان من علماء العربية بجامع عمرو في عهد عبد العزيز وله تلاميذ كثيرون تلقوا العلم على يديه وخاصة علوم اللغة والأدب (٦).

كما نكر ابن خلكان أن أسامة جنادة كان من العلماء المتميزين في اللغة والنحو المشهورين، وكان يعمل رئيس المؤننين بجامع عمرو، وله الكثير من تلاميذه الذين تحلقوا حوله ونهلوا من علمه (٧). واشتهر كذلك أبو العباس أحمد بن هاشم المصري المتوفى سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م، وكان من كبار

(١) ابن خلكان: وفيات، ج ٣، ص ٣٠٠-٣٠١؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٣٢.

(٢) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج ٣، ص ١٥٩.

(٣) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٣٢.

(٤) السيوطي: نفسه، ص ٥٣٣.

(٥) السيوطي: نفسه، ص ٥٦٣.

(٦) ياقوت الحموي: معجم الأنبياء، ج ٥، ص ٩٧.

(٧) ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ١١٧.



كبار المحدثين والقراء في عصره، واشتهر بتدريس علم القراءات في حلقاته بالجامع الأزهر (١). وكذلك اشتهر بالإسكندرية النحو عبد الكريم بن علي بن الطفال الإسكندري لإقراء النحو وعلوم العربية (٢).

واحترف العديد من العامة مهنة الوراقاة حباً في العلم أكثر من احترافهم لها لكسب العيش، وكان أبو الحسين علي بن بقا المصري من علماء الحديث في عهد المستنصر، وتوفي سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، واشتهر بالوراقة والنسخ، فكان ينسخ في داره العديد من الكتب والمجلدات (٣).

كما اشتهر أيضاً بدلالة الكتب ابن صورة (٤)، وكان يجلس في دهليز داره في الفسطاط ويفد ويفد إليه الطلاب والعلماء والأدباء يعرض عليهم الكتب ويظنون كذلك إلى نهاية اليوم (٥). واشتهر أبو إسحق الحبال - في عهد المستنصر - بالتجارة في الكتب، وكان عالماً بالحديث له حلقة يلقي بها دروسه على تلاميذه في المسجد الجامع (٦). وأحمد بن هارون الأسواني من مدينة أسوان، كان من أساتذة علم الحديث ومن الفقهاء البارزين في ذلك العصر (٧).

هذه هي البيئة العلمية التي عاش فيها سوداني مصر في العصر الفاطمي الأول، بل وتأثروا بها وقد لبعضهم أن يشاركوا مشاركة إيجابية في الحياة في مصر وفي بلادهم.

أثر البيئة العلمية المصرية على سوداني وادي النيل في العصر الفاطمي الأول

كانت للبيئة العلمية في مصر في العصر الفاطمي الأول تأثير واضح على سوداني وادي النيل، ويتضح هذا الأثر من خلال الحركة العلمية والأدبية التي نشطت في مدينة أسوان المتاخمة

- (١) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٢٢٨.
- (٢) القفطي (جمال الدين علي بن محمد بن يوسف، ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م): إنباه الرواة على أبناء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٢م، ج ٢، ص ١٦٤.
- (٣) ابن العماد (ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي النمشقي، ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير للنشر، سوريا ١٩٨٦م، ج ٣، ص ٢٨٥.
- (٤) هو أبو الفتح ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الأنصاري المعروف بابن صورة، وكان له دراية كبيرة بفنون تلك المهنة، وكان يجتمع إليه في داره يومى الأحد والأربعاء والأدباء والعلماء يشتركون منه الكتب. (ابن خلكان: وفيات، ج ١، ص ٦٣).
- (٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٦٣.
- (٦) السيد طه أبو سديرة: الحركة العلمية، ص ٨٨.
- (٧) قيل إنه توفي في عهد المعز ٣٦٤هـ ٩٧٤م. (الأدقوى (الشيخ الإمام أبي الفضل جعفر بن ثعلب الأدفوى، ت ٧٤٨هـ/١٢٤٧م): الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، مراجعة طه الحاجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٤٣ - ١٤٤).



للنوبة، تلك المدينة العامرة بالسكان والتجارة، والتي بنيت على شاطئ النيل، وهي محاطة بأراضي ممتازة لزراعة الحبوب (١)، ومدن قفط، ومدينة إسنا، ومدينة قوص (٢).

وفضلاً عن أن سوداني وادي النيل قد شكلوا قطاعاً في الحياة العسكرية في العصر الفاطمي الأول وخاصة أيام الخليفة المستنصر بالله، وذلك لتشجيع أمه التي كانت سودانية الأصل (٣)، كان للنوبيات دور مهم في الحياة المصرية، فكثيرات منهن قمن بتربية أولاد السلاطين وتنظيم الأفراس والأعياد وترتيب شئون الحريم السلطاني (٤).

نجد أن سوداني وادي النيل قد تأثروا وأثروا في الحياتين السياسية والثقافية داخل المجتمع المصري (٥)، ويرجع ذلك للتأثير والتأثر في العصر الفاطمي الأول إلى أسباب كثيرة، منها:

أولاً : سماحة أهل مصر وترحيبهم بالقادمين إليه بدون تفرقة بسبب اللون أو الأصل، ومعاملتهم معاملة إخوة يجمعهم دين واحد وهدف واحد، بالإضافة إلى كرمهم، فقد كان المصريون يمدون لهم يد العون عند الحاجة إليهم، ويساعدوهم في حالة الطلب، حتى لو كانوا أغنياء.

ثانياً : اندماجهم واختلاطهم اليومي بالعلماء والطلاب المصريين في حلقات الدرس التي كانت تعقد بالمساجد الجامعة، والتي كانت تتمتع بالحرية في المناقشات بين الطلبة بعضهم بعضاً، مما ساعد على تبادل الأفكار بين سوداني وادي النيل وغيرهم من الطلاب (٦).

ثالثاً : كان نظام التعليم في الجامع الأزهر يتيح أيضاً فرصة الاختلاط، حيث كانت الدراسة في الأزهر تعطل يومي الخميس والجمعة، فكانت فرصة لسوداني وادي النيل للخروج والاختلاط اليومي بالمصريين، والتعامل مع الشعب المصري، مما كان له الأثر الكبير في عملية التبادل الثقافي بينهم وبين المصريين.

رابعاً : كان لانتشار الجوامع في مدن أسوان وقفط وقوص أثره في إثراء الحركة الفكرية في صعيد مصر، وكانت تعقد حلقات الدرس في هذه الجوامع، ويفد إليها طلاب العلم من كل مكان،

(١) عبد العظيم عبد الرحمن خضر : حضارة الإسلام في وادي النيل، ص ٢٧٠.

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة، ج ١، ص ١٩١.

(٣) المقرئزي : الخطط، ج ١، ص ٩٤.

(٤) أحمد الحفناوي : سودان وادي النيل في ظل الإسلام، ص ٦٧.

(٥) عبده بوي : السود والحضارة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م، ص ١٨٣.

(٦) على مبارك باشا : الخطط التوفيقية، ج ٤، ص ٦٠.



ويرز منهم ابن الأرقط الحسيني النحوي الذي درس بأسوان، ثم قام بالتدريس في قوص واستمر بها حتى وفاته (١). كذلك نبغ في مدينة أدفو الأديب والعالم المفسر أبو بكر محمد بن علي الأنفوي صاحب كتب تفسير القرآن المجيد (٢). وكان جامع مدينة قفط من الجوامع التي أثرت الحياة الفكرية في صعيد مصر والنوبة واشتهر بها ابن غازي العنزي الأنماطي، الذي كان يجلس لتدريس علوم اللغة والأدب والطب والرياضيات والمنطق (٣).

كما لعبت الجوامع في مدينتي إسنا وقوص في العصر الفاطمي الأول دورًا في هذه الحركة الفكرية في الصعيد فقد انفردت أسرات بأكملها في الاشتغال بهذا المجال، ومنهم "بنو السديد" فكانوا من أرباب العلم وتولى المناصب الدينية، و"بنو الخطيب" اشتهروا بالاشتغال بالعلم، و"بنو النصر" الذين بنوا جامع الخطبة بمدينة إسنا ومن الخليفة الظاهر، ثم أدخلوا عليه التحسينات سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م زمن الخليفة المستنصر. وكان من أشهر علمائهم علي بن النصر، فقد نبغ في علوم عصره، وكان عالمًا بالدين واللغة والأدب، أما قوص فكان بها ستة عشر مكانًا للدرس وحلقات العلم (٤).

وقد عرف السودان وادي النيل المساجد قبل العصر الفاطمي الأول؛ لأنها كانت مكانًا للعبادة والوعظ والإرشاد، وقد اهتم الرعيل الأول من العلماء بإنشاء المساجد لنشر تعاليم الإسلام فاهتم بعضهم بتدريس القرآن، وركز البعض الآخر بتعليم الفقه، بينما جمعت بعض المساجد بين المنهجين (٥).

أما عن الربط في السودان وادي النيل، فكان أول من ذكر الرباط هناك ابن سليم الأسواني في أثناء تجوله في مملكة علوة إذ وصفها بقوله: "وفيها أبنية حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة الذهب، ويساتين، ولها ريبض فيه جماعة من المسلمين" (٦)، أما الزوايا فلم تكن موجودة خلال العصر الفاطمي الأول (٧).

(١) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، ت ٩١١هـ / ١٦٠٥م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر ١٩٦٤م، ص ٤٠.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٥٦.

(٣) القفطي: إنباء الرواة، ج ٢، ص ٨٤.

(٤) الأنفوي: الطالع السعيد، ص ٤٤.

(٥) علي حسن الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة ١٩٦٢م، ص ١٥٠؛ - كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٦م، ٣٧٦.

(٦) المقرئزي: الخطط ج ١، ص ١٩١ نقلًا عن ابن سليم الأسواني؛ - كرم الصاوي: ممالك النوبة، ص ٣٩٣.

(٧) لم تظهر الزوايا إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما بدأت الطريقة التجانية في الانتشار. (الظاهر محمد علي البشير: الأدب الصوفي في السودان، الدار السودانية، ط ١، الخرطوم ١٩٧٠م، ص ٥٩).



ونتيجة تقبل المجتمع المصري لهم واستخدامهم في الجيش المصري كرماة (١)، واستخدامهم للقضاء على بعض الثورات التي كانت تهب من حين إلى آخر ضد الخلفاء الفاطميين (٢)، وتأثرهم خلال معاشتهم بالثقافة الإسلامية التي فتحت أبوابها لهم، برز منهم الكثير في علوم العصر آنذاك: في الفقه الإسلامي والفتيا والتاريخ والتصوف والشعر وغيرها من العلوم (٣).

فكان منهم يزيد بن أبي حبيب (٤) مولي الأزدي؛ إذ كان مفتي أهل مصر، وعنه أخذ الليث بن سعد (٥) وكان يزيد أسوداً نوبياً، (٦) أبواه من أهل النوبة (٧) أخذ العلم عن بعض الصحابة المقيمين بالمقيمين بمصر، وهو أول من نشر العلم بمصر في الحلال والحرام ومسائل الفقه (٨). وكان عالماً بالفن والحروب فيما يتعلق بفتح مصر وشؤونها وولاتها وهو أحد الأركان الذين نقل عنهم الكندي كتابه "ولاية مصر وقضائها"، وكان من أشهر تلاميذ عبد الله بن لهيعة والليث بن سعد (٩).

- (١) استخدموا كرماء لبراعتهم وشهرتهم الكبيرة في الرمي بالنبل والسهام، ولهذا أطلق عليهم العرب رماة الحق (سوزى أباطة محمد حسن داود: السودانيون في جيش مصر الإسلامية حتى سقوط الدولة الفاطمية ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ١٩٨٩م، ص ٨٠).
- (٢) ابن الجوزي: مرآة الزمان، مخطوطه مصورة بدار الكتب تحت رقم ٥٥١، ج ١١، القسم الأول ميكروفيلم ١٠٨٦١، والقسم الثاني والثالث ميكروفيلم ٤٢٩٣٥، والجزء ١٢ - القسم الأول والثاني ميكروفيلم ١٠٨٦١، والقسم الثالث ميكروفيلم ٣٨٢٨١ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٨١ - حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٢٧٩.
- (٣) سيدة إسماعيل كاشف: مصر في فجر الإسلام، من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، دار النهضة العربية سنة ١٩٧٠م، ص ٢٧٢.
- (٤) يزيد بن أبي حبيب الفقيه أبو رجاة الأزدي مولا هم المصري أحد الأعلام وشيخ تلك الناحية وكان أسود حبشياً، قال قال ابن لهيعة: ولد تقريباً في سنة ثلاث وخمسين. سمعته يقول: كان أبي من أهل دنقلة ونشأت بمصر وهم علوية فغلبيتهم عثمانية. قال ابن يونس: اسم أبيه سويد مولى شريك ابن الطفيل العامري ويقال إنه ولد في إمارة معاوية بن أبي سفيان. وقال ابن لهيعة: مات يزيد سنة ثمانية وعشرين ومائة (الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ١٨٤).
- (٥) الليث بن سعد (الليث بن سعد عبد الرحمن، أبو الحارث) إمام أهل مصر في الفقه والحديث، وكان مولى قيس بن بن رفاعه، وهو من أهل قلقتندة توفي سنة ١٧٥هـ / ٧١٠م. (ابن خلکان: وفیات الأعيان، ج ٤، ص ٢٧-٢٨).
- (٦) الحافظ الذهبي: تنكرة الحفاظ، ج ٥، ص ١١٥.
- (٧) مكي شبكية: السودان عبر القرون، ص ٣٤؛ مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، ص ١٤٠.

١٤٠.

- (٨) أحمد أمين: فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٥م، ص ١٩١.
- (٩) الليث بن سعد فقيه مصر ومحدثها، وتشير بعض المصادر إلى مشاركته في حركة التدوين فكان من أوائل من دونوا دونوا العلم. (ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م): الرحمة الغيبية بالترجمة في مناقب



أما الإمام يزيد بن أبي حبيب بالتاريخ وفقهه به. فيبدو ذلك واضحاً مما نقله عنه عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين ابن الليث بن رافع المالكي القرشي المصري، المشهور بابن عبد الحكم في كتابه "فتوح مصر وأخبارها". يبين ذلك الكتاب أخبار مصر وتاريخها منذ عهد طويل وحتى صدر الإسلام وتاريخ مصر الإسلامية، كل ذلك حفظه يزيد ونقله عنه المؤرخون (١).

وقد برز في العلم والفقه بمصر أيضاً بجانب يزيد بن أبي حبيب، مكحول الشامي، وكان مكحول مملوكاً لعمرو بن سعيد بن العاص فوهبه لرجل من هُنَيل بمصر وأنعم عليه بها قال : فما خرجت من مصر حتى ظننت أنه ليس بها علم، إلا وقد سمعته ثم قدمت المدينة فما خرجت منها حتى ظننت أنه ليس بها علم إلا وقد وسمعته (٢).

وكان أيضاً من العلماء البارزين ياقوت الحبشي، وهو من أفذاذ الرجال، وهو تلميذ أبي العباس المرسي وخادمه، وكان ذا فضل كبير علي العلم والتصوف (٣)، وأبو رجاء بن أحمد بن الربيع الأسواني، الذي كان فقيهاً شاعراً، مات في ذى الحجة عام خمس وثلاثين وثلثمائة (٤). والإمام كمال الدين أبو المناقب أبو بكر بن محمد بن سابق الدين أبي بكر الخضير السيوطي، الذي ولد بأسبوط بعد عام ٣٠٠هـ/٩١٢م، وتوفي في خمس وخمسين وثلثمائة. وأبو علي الحسن بن الخضر الأسبوطي، مات في ربيع الأول سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، ومحمد بن يوسف بن بلال الأسواني، المتوفي سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م (٥). ومحمد بن علي بن أحمد الإمام أبو بكر الأنفوي المصري، الذي برع في علوم القرآن، وكان سيد عصره، مات سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م (٦).

سبينا ومولانا الإمام الليث بن سعد، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة ١٣٠١هـ، ص ٩٢٨؛ الحافظ الذهبي: تنكرة الحافظ، ج ١، ص ٢٢٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٨.

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، هو أول مؤرخ مصري باعتباره قد دون حوادث خاصة بالتاريخ المصري (السخاوي) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢هـ / ٤٩٦م): علام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنل، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت ٢٠٠١م، ص ٧).

(٢) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ص ١٨٥.

(٣) ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٥.

(٤) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٠١.

(٥) السيوطي: نفسه، ج ١، ص ٤٤١، ٤٥٠.

(٦) السيوطي: نفسه، ج ١، ص ٤٩٠.



وكانت الأريطة والزوايا من أشهر المؤسسات العلمية في العصر الفاطمي الأول، وأسهمت في إثراء الحركة الفكرية المصرية، فكان الطلاب يتحلقون حول كبار الصوفية والزهاد يأخذون عنهم علومهم ومنهجهم في التصوف، ومن تلك ما كان موجوداً في القاهرة وعلى جبل المقطم مثل رباط الأشراف ورباط بنت الخواص ورباط الحجازية بالقرافة الكبرى، كما كان يوجد بجبل المقطم العديد من الزوايا التي ينقطع فيها الزهاد للعبادة (١).

وانتشرت هذه الأريطة والزوايا في صعيد مصر مثل قنا التي كان بها رباط الشيخ أبي الحسن بن الصباغ، ورباط الشيخ الحسن، ورباط الشيخ أبي يحيى بن شافع، ورباط الشيخ إبراهيم بن أبي الدنيا، يختلفون فيها بمريديهم وينقلون لهم أفكارهم، وكان يجتمع إليهم الشبان والشيخ على السواء (٢).

ومن أول المتصوفين بسودان وادي النيل أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري، ويقال له الفيض أبو المعروف بذي النون المصري (٣). يقول ابن الجوزي: نو النون إبراهيم أبو الفيض المصري، أصله من النوبة (٤). وكان لإبراهيم والده أربعة بنون. نو النون ونو الكفل، وعبد الهادي، الهادي، والهيمس. وتوفي نو النون بالجيزة، وحمل في مركب إلى القسطاط خوفاً من زحمة الناس على الجسر ودفن في مقابر أهل المعافر في ذي القعدة سنة ست وأربعين ومائتين (٥). كان نو النون النون أوحده وقتها علماً وورعاً وأدباً وزهداً. روي عن الإمام مالك والليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة

(١) المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٤٣٤، ٤٥٤

(٢) الأنفوي: الطالع السعيد، ص ٤٢ - نيكولسون (رينولتز أ): في التصوف الاسلامي وتاريخه، ترجمة أبو العلا غيفي، القاهرة ١٩٤٧م، ص ٥٩.

(٣) نو النون المصري: من أبرز رجال الصوفية (٧٩٦-٨٥٧هـ)، ولد في اخميم وكان أبوه نوبياً، عرف بالورع والعزلة عن الناس، وسافر إلى بلاد عديدة، واتهمه الناس بالزندقة وأرسل مكبلاً بالحديد إلى الخليفة العباسي المتوكل، لكنه عندما سمع كلامه أعجب به وأعداه إلى مصر مكرماً. (أحمد أمين: ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٥م، ص ٦٧ - عبد الله عبد الرازق إبراهيم: أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، مكتبة مدبولي،

القاهرة ١٩٩٠م، ص ١٦ - Trimingham, J. S.: Islam in the Sudan, P. 189.

(٤) العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري، ت ١٣٤٨/٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٤م، ج ٢، ص ١٩٣ - ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٣١٦.

(٥) الشعرائي (أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي، ت ٩٧٣/١٥٦٥م): الطبقات الكبرى الكبرى المسماه بلواحق الأنوار في طبقات الأخيار، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، ج ١، ص ٧٠ - مرزوق على إبراهيم، دار الشريف للنشر، الرياض ١٩٩٨م، ص ٢٣٣.



والفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة وغيرهم من أقطاب الصوفية. وله فضل كبير في وضع كثير من التعاليم الصوفية كما نعرفها الآن. وقد أنكر عليه أهل مصر وقالوا: "أحدث علماً لم تتكلم به الصحابة"، وسعي به بعض أعوانه لدي الخليفة المتوكل فأحضره الخليفة من مصر، فلما دخل عليه وعظمه فبكي المتوكل ورده مكرماً (١).

وقد ترك ذو النون في التصوف أثرًا وأقولاً ماثورة، أما ما أثر عنه في ذلك فإنه كان حبيباً في السجن وأوتي بطعام فناوله له السجن. فلم يأكله وقال: "إنه مر علي يد ظالم". ومن أقواله ومن الماثورة: "صحبة الصالحين تطيب الحياة، والخير مجموع في القرين الصالح؛ إن نسيت ذكرك وإن ذكرت أعانك". وعندما سئل من يجالس المرء؟ قال: "عليك بصحبة من يذكرك الله عز وجل لرؤيته وتقع هيئته علي باطنك، ويزيد في" علمك بصحبة من يذكرك الله عز وجل لرؤيته وتقع هيئته علي باطنك، يزد في علمك منطقة، ويزهدك في الدنيا فعله، ولا تعمي الله - عز وجل - ما دمت قربه يعظمك بلسان فعله ولا يعظمه بلسان قوله" (٢).

وبجانب هذا السمو الروحي عند ذي النون المصري فإنه كانت له آراء في السياسة وشئون الحياة والفكر. ظهر ذلك عندما وقعت فتنة "خلق القرآن" فقد شارك برأيه وفكره، وكان مغايراً لرأي السلطان وأراد أن ينجو بنفسه حتي لا يقع في يد الخليفة، إلا أنه وقع في يد القاضي ابن أبي الليث، فأقر مكرهاً بخلق القرآن (٣).

كما اشتهر بالتصوف في العصر الفاطمي الأول محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأندلسي، (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) (٤)، ومحمد بن إبراهيم بن حيدر القفطي، ذكره صاحب القفطي في كتاب (إنباه الرواة) وقال "الفتية المقرئ، ممن سلمت له صناعة القراءات في الروايات، ولم يزل مفيداً للناس في مسجد بقط، بحاره تعرف بابن الحاج"، ومحمد بن إبراهيم القرويني، الإنساني الدار والوفاء، وقدم من قزوين، كان

(١) سيده كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ٣٣٠.

(٢) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٣) سيده كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ١٠٨.

(٤) أحمد عبد السلام ناصف: دور الصوفية في صد الهجمة الصليبية ٤٩٠-٧٩٧هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا ١٩٨٩م، ص ٤٤١.



فقيهاً كبيراً حنفي المذهب، وتزوج بإسنا وأقام بها، وله بها نزية (١). والمحدث الإمام أبو علي الحسين بن الخضر بن عبد الله الأسيوطي، المتوفي في ربيع الأول سنة إحدى وستين وثلاث مئة (٢).

وكان لنساء وادي النيل دور في العلم والتصوف؛ منهن اللاتي تصوفن، وكان لهن باع طويل في هذا المجال، تحية النوبية التي عاشت في بلاد النوبة وكان أبواها نصاريين لكنها لم تنشأ علي دين أبويها؛ إذ إنها أسلمت بعد أن دخل الإسلام بلاد النوبة (٣).

وبعد أن جاء كثير من النوبيين إلى مصر وعاشوا بين المسلمين، يقول ابن الجوزي: "سمعت الصوفي الماليني يقول: دخلت على تحية النوبية زائراً فسمعتها من داخل البيت تتناجي وتقول في مناجاتها: "يا من يحبني، وأحبه"، فدخلت عليها وسلمت عليها وقلت: يا تحية، هيه إنك تحبين الله تعالى، فمن أين لك تعلمين أنه يحبك؟ فقالت: نعم إني كنت في بلد النوبة وأبواي كانا نصرانيين وكانت أمي تحملني إلي الكنيسة وتجيء عند الصليب وتقول: قبلي الصليب، فإذا هممت بذلك أري كفاً تخرج فترد وجهي حتى لا أقبله، فعلمت أن عنايته بي قيمة" (٤).

لقد كانت العلوم التي درسها سوداني وادي النيل في مصر في العصر الفاطمي الأول تتماشى مع رغبتهم وثقافتهم التي تلقوها في بلدانهم، وكانت العلوم الدينية مطلباً لهم ينفعم في الحياة الدنيا والآخرة، ومن أشهر هذه العلوم تفسير القرآن الكريم، والحديث، ومصطلح الحديث، وعلم القراءات، ورسم المصحف، وعلم الفقه وأصوله (٥)، بالإضافة إلي دراسة اللغة العربية لاستخدامها كوسيلة لفهم الدين ودراسة إعجاز القرآن الكريم (٦)، وكان الإقبال على دراسة علم المنطق يستخدم في الجدل مع أصحاب الديانات الأخرى، وفي استنباط الأحكام، كما كانوا يهتمون بدراسة علم الكلام، وعلم الحساب لأهميته في دراسة علم الفرائض والمواريث (٧).

(١) الأنفوي: الطالع السعيد، ص ٤٧٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٢٨٩٦.

(٣) ابن الجوزي: تنوير الغيش في فضائل السودان والحيش، ص ٢٥٩.

(٤) ابن الجوزي: مرآة الزمان، ص ٢٥٩.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٨٦.

(٦) علوم اللغة العربية هي عالم النحو، وعلم البيان والبديع، وعلم الصرف، وعلم العروض. (ابن خلدون: المقدمة، ص ٦٢٩).

(٧) ابن خلدون: المقدمة، ص ٥٤٠.



الخاتمة:

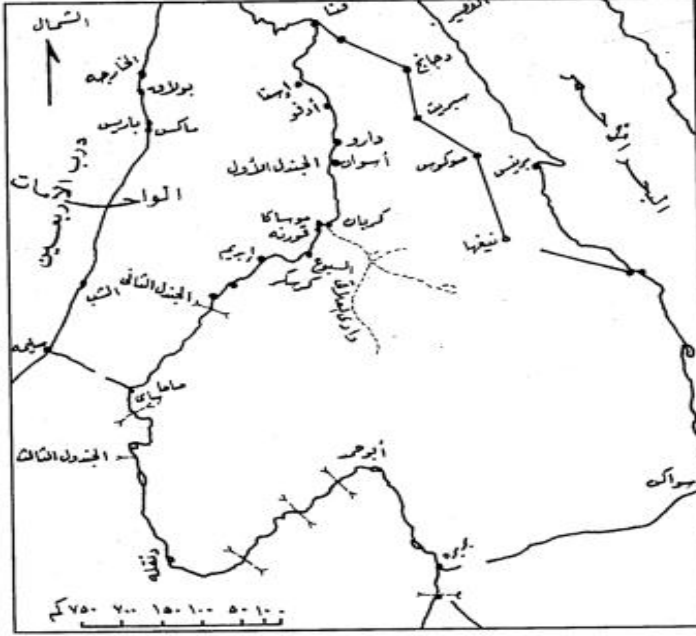
لقد تأثر سودانو وادي النيل في العصر الفاطمي الأول بالبيئة العلمية التي شهدت مصر في ذلك العصر، والتي أدت إلى حركة فكرية زاخرة ونهضة علمية شملت البلاد من أديانها إلى أقصاها. ويرجع ذلك التأثير والتأثر لاهتمام الخلفاء الفاطميين منذ أن فتحوا مصر، بالبيئة العلمية بها، وذلك من خلال إنشاء المؤسسات العلمية لنشر الثقافة العلمية والأدبية، فإلى جانب جامع عمرو وجامع العسكر والجامع الطولوني، أقاموا العديد من المؤسسات العلمية، منها: الجامع الأزهر، وجامع الحاكم بأمر الله، وجامع راشد، ودار الحكمة. وعملوا على إنشاء العديد من المكتبات التي حوت على الآلاف من الكتب العلمية والأدبية، منها مكتبة القصر الفاطمي التي زخرت بالعديد من المؤلفات المختلفة حتى عُدت من عجائب الدنيا، وقيل إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في العصر الفاطمي الأول، وإنها اشتملت على ألف وستمئة كتاب، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة.

كما يتضح أثر البيئة العلمية المصرية على سوداني وادي النيل من خلال الحركة العلمية والأدبية التي ازدهرت في أسوان وقفت وإسنا وإدفو، والتي انتقلت بسهولة وبسر إلى النوبة في ظل استقرار المناخ السياسي ونقل الثقافة العربية من القاهرة إلى السودان وادي النيل.

بالإضافة إلى أن المرأة في السودان وادي النيل خلال العصر الفاطمي الأول تمتعت بنصيب كبير في الناحية العلمية، فبرغم قيود التقاليد التي فرضت عليها في تلك الفترة، إلا أن ذلك لم يمنعها من مساهمة ركب التطور الحضاري الذي شهدته تلك الحقبة، فكان منهن واعظات لهن حلقات للدرس في الجوامع المختلفة، يتسابق إلى مجلسهن الكثيرون من محبي العلم والمعرفة.



الملاحق



الشكل رقم (١)

أهم مدن النوبة في العصور الوسطى
كرم الصاوي باز : ممالك النوبة،
ص ٤٨١.



الشكل رقم (٢)

محمد محمد أمين :
العبدلاب وسقوط مملكة
علوة، بحث منشور بمجلة
الدراسات الافريقية، العدد
الثاني، القاهرة ١٩٨٣م،
ص ٢٠٧.



الشكل رقم (٣)

Crawford C.F.: the Fung Kingdom of Sennar. Gloucester.1951, p 103.





المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

١. ابن الجوزي (يوسف بن قزؤوغلي، ت ٦٥٤هـ/١١٢٦م): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٢٧٦ ح.
٢. الأرياب الحسن بن شاور: سيرة ملوك العبدلاب، مخطوطة بدار الوثائق القومية بالخرطوم، رقم ٢٠/١/٢٣٢.
٣. مجهول: أخبار المعز لدين الله الفاطمي، مخطوطة محفوظة بدار الكتب تحت رقم ١٢١١١ ح.

ثانياً: المصادر العربية:

٤. ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، ت ٢٦٨هـ/١٢٦٩م): عيون الأتباء في طبقات الأطباء، ونقله وصححه امرؤ القيس بن الطحان، ط ١، المطبعة الوهبية، ١٨٨٣م.
٥. ابن الأثير (علي بن أحمد أبي الكرم، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٦م.
٦. الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م): صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، لين ١٨٨٤م.
٧. إدريس عماد الدين (الداعي الفاطمي إدريس عماد الدين القرشي): عيون الأخبار وفتون الآثار، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٦٨ م.
٨. الإنفوي (الشيخ الإمام أبو الفضل جعفر بن ثعلب الأنفوي، ت ٧٤٨هـ/١٢٤٧م): الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، مراجعة طه الحاجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١ م.
٩. الانطاكي (يحيى بن سعيد الانطاكي، ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م): تاريخ الأتطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتبخا، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت ١٩٩٠م.
١٠. ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي، ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢م.
١١. البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، ت ٢٧٩هـ / ١٠٩٤م): فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، مطبعة الموسوعات، القاهرة ١٩٠١م.
١٢. بيبيرس النوادر (ركن الدين بيبيرس المنصوري الناصري الخطائي النوادر، ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠١١م.
١٣. ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي الاتاكي جمال الدين أبو المحاسن، ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٨م.
١٤. ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.
١٥. ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): تنوير الغيش في فضل السودان والحش، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف للنشر، الرياض ١٩٩٨م.
١٦. ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي، ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الرحمة الغيبية بالترجمة في مناقب سيدنا ومولانا الإمام الليث بن سعد، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة ١٣٠١ هـ.
١٧. ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلية، ت ٣٥٠هـ/٩٦١م): صورة الأرض، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٧م.



١٨. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨/هـ ٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٩٩ م.
١٩. ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر الشافعي، ت ٦٨١/هـ ٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٠م.
٢٠. ابن داود الشيرازي (هبة الله بن أبي عمران موسى بن داود الشيرازي، ت ٤٧٠/هـ ١٠٧٧م): السيرة المؤيدية، تحقيق محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٩ م.
٢١. ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيمن العلائي، ت ٨٠٩/هـ ٤٠٦م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، نشر فولر، المطبعة الأميرية، مصر ١٣١٤هـ.
٢٢. الدمشقي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأتصاري المعروف بشيخ الريوة، ت ٧٢٧/هـ ١٣٢٦م): نخبة الدهر وعجائب البر والبحر، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٨م.
٢٣. الذهبي (الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، ت ٧٤٨/هـ ٣٤٧م): التاريخ الكبير أو تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، تحقيق محمد عبد الهادي شعيره، دار الكتب، القاهرة ١٩٧٣م.
٢٤. العبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.
٢٥. تنكرة الحفاظ، وضع الحواشي زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، القاهرة ٢٠٠٧م.
٢٦. ابن الزيات (شمس الدين محمد ابن الزيات، ت ٨١٤/هـ ٤٤٢م): الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافين الكبرى والصغرى، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٠٧م.
٢٧. السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، ت ٧٧١/هـ ١٣٧٠م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٢م.
٢٨. السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢/هـ ٤٩٦م): الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنتال، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت ٢٠٠١م.
٢٩. ابن سعيد الأندلسي (علي بن سعيد المغربي، المتوفي سنة ٦٨٥/هـ ٦٨٢١م): المغرب في حلى المغرب، كتاب الدعج في حلى دولة بني طنج، تحقيق زكي محمد حسن، شوقي ضيف وسيد كاشف، ج ١، القسم الخاص بمصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٣م.
٣٠. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، ت ٩١١/هـ ١٦٠٥م) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط الحلبي، القاهرة ١٩٦٧م.
٣١. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر ١٩٦٤م.
٣٢. الشعراني (أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأتصاري الشافعي المشهور بالشعراني، ت ٩٧٣/هـ ١٥٦٥م): الطبقات الكبرى ألمسماه بلوائح الأتوار في طبقات الأخيار، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م.
٣٣. الشيرازي (عبد الرحمن بن نصر، ت ٥٨٩/هـ ١١٩٣م): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، القاهرة ١٩٤٦م.
٣٤. العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري، ت ٧٤٩/هـ ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٤م.
٣٥. ابن عذاري المرلكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عذاري المرلكشي، ت ٦٩٥/هـ ١٢٩٥م): البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، ترجمة وتحقيق ج. س. كولان وليفي بروفسال، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م.



٣٦. ابن العماد (ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي المشقي، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير للنشر، سوريا ١٩٨٦م.
٣٧. أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي، ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم عزب ويحيى سيد حسين، تقديم حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٨م.
٣٨. القفطي (جمال الدين علي بن محمد بن يوسف، ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م): إنباه الرواة على أبناء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٢م.
٣٩. القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٨م.
٤٠. ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر، تحقيق محمود سلامة، القاهرة ١٩٠٦م.
٤١. القرطبي (عريب بن سعد القرطبي، ت ٣٦٩هـ / ٩٧٩ م): صلة تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٠م.
٤٢. الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري، ت ٣٥٠هـ / ٩٦١ م): كتاب الولاة والقضاة، تحقيق رفيع كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م.
٤٣. المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م): التنبيه والأشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، القاهرة ١٩٣٨م.
٤٤. المقرئزي (نقى الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئزي، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢ م): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة ١٩٩٦م.
٤٥. إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الشيال، القاهرة ١٩٤٠م.
٤٦. البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد المجيد عابدين، عالم الكتب، القاهرة ١٩٦١ م.
٤٧. المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩١ م.
٤٨. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ١٩٩٥ م.
٤٩. المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله، ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن ١٩٧٦م.
٥٠. ابن ميسر (أبو عبد الله تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن ميسر، ت ٦٧٧هـ/١٣٧٨م): تاريخ مصر، ط هنري ماسيه، القاهرة ١٩١٩م.
٥١. ناصر خسرو علوي (أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي، ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م): سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، تصدير عبد الوهاب عزلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.
٥٢. ابن النديم (محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق النديم البغدادي، ت ٣٨٣هـ / ٩٩٣ م): فهرست، تحقيق: رضا تجدد، دار المعرفة، القاهرة ١٩٧٨م.
٥٣. القاضي النعمان (النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد التميمي، ت ٣٦٣هـ / ٩٧٣م): رسالة افتتاح الدعوة، رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية، تحقيق وداد القاضي، بيروت ١٩٧٠ م.
٥٤. النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأرب، تحقيق محمد فوزي العنتيل ومحمد طه الحاجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م.
٥٥. ابن الوردي (سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي، ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زنتاي، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ٢٠٠٨م.



٥٦. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، بيروت ١٩٩٠م.
٥٧. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، ت ٢٧٢هـ/١٩٥م): تاريخ اليعقوبي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٢م.

ثالثاً : المراجع العربية والمعرية

٥٨. أحمد أحمد بدوى (دكتور): الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٢م .
٥٩. أحمد أمين (دكتور): ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٥م.
٦٠. فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٥م.
٦١. أحمد الحفناوي (دكتور): السودان وادي النيل في ظل الإسلام، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م.
٦٢. أحمد سعيد النمرdash (دكتور): الحسن بن الهيثم، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٩م.
٦٣. أحمد شلبي (دكتور): تاريخ التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٩م.
٦٤. أحمد فكري (دكتور): مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥م.
٦٥. أحمد محمد عوف (دكتور): الأزهر في ألف عام، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة ١٩٧٠م.
٦٦. أحمد مختار العبادي (دكتور): في التاريخ العباسي والفاطمي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، سنة ١٩٨٧م.
٦٧. أم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، تقديم مصطفى لبيب عبد الغنى، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠٠٨م.
٦٨. أمين محمد طليح (دكتور): وأصل الموحدين الدروز وأصولهم، بيروت ١٩٦١م.
٦٩. أمينة الصاوي : الأزهر الشريف منارة الإسلام، تقديم عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف، مكتبة مصر، القاهرة ١٩٨٥م.
٧٠. بنلر (ألford ج. بنلر) : فتوح العرب لمصر، تحقيق محمد فريد أبو حديد بك، مكتبة منبولي، القاهرة د.ت.
٧٢. جمال الدين الشيبان (دكتور): تاريخ مصر الإسلامية، الجزء الأول من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م.
٧٣. جوتنيه : القاموس الجغرافي، كتاب كيس Kees عن مصر، القاهرة ١٩٣٣م.
٧٤. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩١م.
٧٥. تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤م.
٧٦. الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، وزارة المعارف العمومية، القاهرة ١٩٣٢م.
٧٧. زاهر رياض (دكتور): مصر وإفريقيا، مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٦م.
٧٨. زكي محمد حسن (دكتور): الفن الإسلامي في مصر من الفتح العربي إلى نهاية العصر الطولوني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٨م.
٧٩. سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٧٦م.
٨٠. سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٦م.
٨١. وعبد الرحمن الرفاعي : مصر في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٠م.
٨٢. سيدة إسماعيل كاشف (دكتور): أحمد بن طولون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٥م.
٨٣. مصر في عصر الإخشيديين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٠م.



٨٤. مصر في فجر الإسلام، من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، دار النهضة العربية سنة ١٩٧٠ م.
٨٥. شحاتة عيسى إبراهيم (دكتور): القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ٢٠٠١ م.
٨٦. شوقي عطا الله الجمل (دكتور): تاريخ السودان وادي النيل حضارته وعلاقاته بمصر من أهدم العصور للوقت الحاضر، القاهرة ١٩٦٩ م.
٨٧. الطاهر أحمد مكي (دكتور): دراسة في مصادر الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٩ م.
٨٨. عارف تامر (دكتور): المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢ م.
٨٩. عبد الحليم منتصر (دكتور): تاريخ العلم ودور العلماء العرب فيه، دار المعارف، ١٩٧٣ م.
٩٠. عبد الرحمن زكي (دكتور): القاهرة، منارة الحضارة الإسلامية، القاهرة ١٩٧٩ م.
٩١. عبد الله عبد الرازق إبراهيم (دكتور): أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٠ م.
٩٢. عبد الله محمد جمال الدين (دكتور): الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٥ م.
٩٣. عبد العزيز أمين عبد المجيد (دكتور): التربية في السودان من أول القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر والأسس النفسية والاجتماعية التي قامت عليها، ج ١، المطبعة الأميرية المصرية ١٩٤٩ م.
٩٤. عبد العزيز محمد الشناوي (دكتور): الأزهر جامعًا وجامعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٣ م.
٩٥. عبد العليم عبد الرحمن خضر (دكتور): حضارة الإسلام في وادي النيل، دراسة في جغرافية انتشار الإسلام، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية ١٩٨٥ م.
٩٦. عبد الوهاب حمودة (دكتور): صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي، دار التأليف، القاهرة ١٩٦٥ م.
٩٧. عبده بدوي (دكتور): السودان والحضارة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦ م.
٩٨. عطية القوصي (دكتور): تاريخ دولة الكونز الإسلامية، دار المعارف، مصر ١٩٨١ م.
٩٩. تاريخ وحضارة مصر الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠١٢ م.
١٠٠. علي إبراهيم حسن (دكتور): تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٣ م.
١٠١. علي حسن الخربوطلي (دكتور): أبو عبد الله الشيعي، مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة ١٩٧٢ م.
١٠٢. علي سالم النباهين (دكتور): نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨١ م.
١٠٣. علي مبارك باشا : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠ م.
١٠٤. عمر رضا كحالة (دكتور): أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠٨ م.
١٠٥. كرم الصاوي باز (دكتور): مصر والنوبة في عصر الولاة، دراسة في التاريخ الاجتماعي في ضوء أوراق البردي العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٦ م.
١٠٦. ممالك النوبة في العصر المملوكي، اضمحلالها وسقوطها، وأثره في انتشار الإسلام في السودان وادي النيل ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧ م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٦ م.
١٠٧. لين بول ستانلي : سيرة القاهرة، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٠ م.



١٠٨. مجاهد توفيق الجندي (دكتور): صفحات مطولة من تاريخ الأزهر، نظام الدراسة بالجامع الأزهر في عصر السبوطي، القاهرة د.ت.
١٠٩. محمد البهي : الأزهر تاريخه وتطوره، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٦٤م.
١١٠. محمد جمال الدين سرور (دكتور): تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠١١م.
١١١. محمد عبد الله عنان (دكتور): تاريخ الجامع الأزهر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٨م.
١١٢. محمد عبد الله ماضي (دكتور): الأزهر في ١٢ عاماً، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٤م.
١١٣. محمد عبد المنعم خفاجي (دكتور): الأزهر في ألف عام، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٨م.
١١٤. محمد عطية الإبراشي (دكتور): التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨م.
١١٥. محمد عوض محمد (دكتور): السودان الشمالي سكانه وقبائله، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥١م.
١١٦. نهر النيل، ط ٢، مصر ١٩٤٢م.
١١٧. محمد كامل حسين (دكتور) : في ألب مصر الفاطمية، دار الفكر، القاهرة ١٩٩٠م.
١١٨. محمود شاكر : السودان، منشورات العصر الحديث، بيروت ١٩٨٠م.
١١٩. مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩م.
١٢٠. مصطفى محمد مسعد (دكتور): الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١١م.
١٢١. المكتبة السودانية العربية، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى، مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، الخرطوم ١٩٧٢م.
١٢٢. مكي شببكة : السودان عبر القرون، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤م.
١٢٣. نجوى كيرة (دكتور): حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٤م.
١٢٤. نريمان عبد الكريم أحمد (دكتور): المرأة في مصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م.
١٢٥. نعمات أحمد فؤاد : شخصية مصر، القاهرة، عالم الكتب ١٩٥٨م.
١٢٦. نعم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، دار الثقافة، القاهرة ١٩٥٦م.
١٢٧. نيكولسون (رينولدز أ): في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبو العلا غيفي، القاهرة ١٩٤٧م.
- رابعاً: البحوث والدراسات
١٢٨. أحمد ممدوح حمدي (دكتور): عواصمنا قبل القاهرة، بحث منشور بالندوة الدولية لتاريخ القاهرة، دار الكتب، القاهرة ١٩٦٩م.
١٢٩. سعد زغلول عبد الحميد (دكتور): الأثر المغربي والأندلسي في مجتمع الإسكندرية، مجموعة محاضرات عن مجتمع الإسكندرية أقيمت في ندوة علمية بكلية الآداب، جامعة الإسكندرية بالتعاون مع الجمعية التاريخية، أبريل ١٩٧٣م.
١٣٠. عبد المجيد عابدين : ميلاد سواها، مجلة الجمعية التاريخية السودانية، المجلد الأول، الجزء الثاني.
١٣١. عوض عبد الهادي : الشايقية، تاريخهم وثقافتهم حتى الفتح التركي، مجلة الدراسات السودانية، جامعة الخرطوم ١٩٧١م.
١٣٢. محمد جمال الدين سرور : مصر في عصر الفاطميين، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور، تاريخ مصر الإسلامية، تاريخ المصريين رقم ٦٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م.



١٣٣. محمد محمد أمين (دكتور): العبدلاب وسقوط مملكة علوة، بحث منشور بمجلة الدراسات الإفريقية، العدد الثاني، القاهرة ١٩٨٣م.

خامساً: الرسائل الجامعية

١٣٤. أحمد عبد السلام ناصف : نور الصوفية في صد الهجمة الصليبية ٤٩٠ - ٧٩٧ هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا ١٩٨٩م.

١٣٥. أمينة أحمد إمام الشورجى : مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر العصر الفاطمي الأول ٣٥٨ - ٤٦٥ هـ/ ٩٦٨ - ١٠٧٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس ١٩٨٧م.

١٣٦. سوزى أباطة محمد حسن داود : السودانيون في جيش مصر الإسلامية حتى سقوط الدولة الفاطمية ودورهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ١٩٨٩م.

١٣٧. السيد طه أبو سديوه : الحركة العلمية في العصر الفاطمي الأول ٣٥٨ - ٤٦٥ هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أسيوط ١٩٨١م.

١٣٨. عبد الغنى محمود عبد العاطى : التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٥م.

١٣٩. عبد الله رزق عبد المجيد سليم : العلاقات بين مصر والنوبة في العصر الفاطمي ٣٥٨ - ٥٦٨ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ١٩٧٨م.

١٤٠. نجوى كيرة : نور المماليك السياسي والاجتماعي في مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، القاهرة ١٩٩٧م.

سادساً: المراجع الأجنبية :

141. Beckett, M.: Nubia and the Berberine, Cairo Scientific Journal, August 1911.
142. Crawford C.F.: the Fung Kingdom of Sennar. Gloucester.1951.
143. Budge, E. A. W.: the Egyptian Sudan, Its History and Monuments, London 1907.
144. S.D. Goitein: Studies in Islamic History and Institutions, Leiden, 1968.
145. Lane – Poole, S.: The muhammadan Dynasties, Paris 1905.
146. Mileham, S. Geoffrey: Churches in Lower Nubia, Philadelphia 1910.
147. Paul : A History of the Beja tribes of the Sudan, Cambridge, 1954.
148. Stanley Lane – Poole : The story of Cairo, London 1888.
149. Tothill, J.D.: ed.: Agriculture in the sudan, by numerous authors. London 1940.
150. Trimingham, J. S.: Islam in the Sudan, London,1956.
151. Zaky Mohammed Hassan : Les Tulunides, Étude de l'Égypte Musulmane à la fin du IXe siècle, Paris 1933.